

إبراهيم محمد حسن الجبل

زُفَّجَانُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَأَسْرَارُ الْحِكْمَةِ فِي نَقْدِ دِهْنِ

يطلب من : مكتبة ولهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة - تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

دار التوفيق للنمذجة

للطباعة والنشر
العدد ٣٠ صحنان الموصلة
بجدة - جامعة الرياض

إهداء

— الى الذين يبحثون عن أسرار ديننا الحنيف
لاظهار كلمة الله .

— الى المرأة المسلمة في نهضتها الحديثة ،
راجيا أن تتخذ من سيرة أمهات المؤمنين نورا
وهداية .

(المؤلف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

كتاب « زوجات النبي صلى الله عليه وسلم » كتاب وسط ،
جمع بين سهولة اللفظ ، ووضوح المعنى ، وكثرة المعلومات ،
يستفيد منه كل من يقرأه ، ويجد فيه تفكيراً جديداً ، ورأياً نافعا
— ان شاء الله —

ولقد حرصت أن تظهر الطبعة الثانية خالية من الهفوات
التي صدرت من غير عمد ، والتي أشار اليها المخلصون ،
واستجبنا لهم من غير تأويل أو ابتداع .

والله أسأل أن يكمل به النفع ، وأن يقتدى المسلمون
بأعمال أمهات المؤمنين ، وأن يكون لنا في سيرتهن العظة
والعبرة . والله الموفق .

ابراهيم الجمل

الرجاء عدم اللعب
والكتابة في الخطبة

لا تفرح المقرئين

بما فيهم من التلاميذ

والذين هم من التلاميذ الذين هم من التلاميذ

والذين هم من التلاميذ الذين هم من التلاميذ

والذين هم من التلاميذ الذين هم من التلاميذ

والذين هم من التلاميذ الذين هم من التلاميذ

والذين هم من التلاميذ الذين هم من التلاميذ

والذين هم من التلاميذ الذين هم من التلاميذ

والذين هم من التلاميذ الذين هم من التلاميذ

والذين هم من التلاميذ الذين هم من التلاميذ

والذين هم من التلاميذ الذين هم من التلاميذ

والذين هم من التلاميذ الذين هم من التلاميذ

بسم الله الرحمن الرحيم

Name: Ahmad Mohammad Rasol
allah.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

التفكير فى الأديان لا يعتمد على العقل وحده ، لأنها من الأمور الغيبية التى لا مجال للعقل فيها • فالتفكير فيما وراء هذا العالم قد ينحرف بالعقل عن السير فى الطريق الصحيح اليه ، فهو لا يعرف الأصول والقوانين التى يعتمد عليها فيما يوصله الى ما يريد ، فقد يصطدم فى نهاية ما يفكر فيه بحائط سميك يسد عليه المنافذ ، وقد يتشتت فى دوامة تتخطفه آراء وأهواء لا يدرى ما يصدق وما لا يصدق ، لأنه محدود فى تكوينه وفى تفكيره وفى معلوماته مهما يبلغ نموه وتفتح وقدراته •

انه يشعر بالعجز لأن العالم الذى يفكر فيه قصر عن ادراكه ، فلم يعرف عنه شيئاً ، وليس هناك ما يمكنه الاعتماد عليه ليصل الى متطلباته ومبتغاه فمن أراد أن يفكر فى الأديان لابد أن يسترشد الى جانب العقل بالعاطفة والاحساس والشعور والفطرة التى فطر عليها ، كل ذلك يسيطر عليه ويجذبه الى قوة خفية ، وبخاصة حين يكون فى حالة غير طبيعية : كأن تستولى عليه حالة لا يستطيع أن يتحكم فيها ،

كالخوف الشديد أو الرهبة أو المرض الذي يعجز عن معرفة
دوائه ، انه يتجه الى خالق هذه القوة اتجاها لا شعوريا
يتضرع ويتذلل ليرفع عنه ما نزل به مما لا قدرة له على دفعه ،
بل قد ينطق لسانه قائلا : « يارب » نطقا يتفق مع الفطرة
التي فطر الله الناس عليها •

ولعل ما حدث لطيار روسي ، قذف بنفسه من طائرته التي
تحترق فلم تنفتح مظلته ، فاذا به — وهو الشيوعي المنكر
للدين — يهتف ، حين أحرق به خطر الموت « يارب » فتفتتح
المظلة •• لعل في هذا أصدق شاهد على استجابة الفطرة لباريها !

لذلك فان من الواجب على الانسان الذي هو علة هذا
الكون ، ومصدر الهامه ، أن يؤمن ايمانا قويا بتلك القوة
الخفية ، ولما لم يكن في مقدوره الاحاطة بتلك القوة ، فان
عليه أن يؤمن بمن جاءوا ليحدثوه بما وراء الغيب ومعهم
من المعجزات التي لا يستطيع البشر أن يأتى بمثلها ، والتي
تواترت الأخبار بها ولا يزال بعضها بين ظهرائنا^(١) •

ومن الذين وهبوا الأمور الخارقة ، ودعوا الى الايمان
بالله واليوم الآخر والملائكة ، كما دعوا الى المثل العليا التي
تعود على الانسان بالخير العميم في الدنيا والآخرة ، أنبياء
الله ورسله موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام •

(١) لا يزال القرآن الكريم معجزة الاسلام الخائدة •

هؤلاء نالوا درجة رفيعة ومنزلة سامية ، فلا يصح
أن ننظر اليهم نظرتنا للرجل العادي ، بل ننزلهم منزلة تليق
بمن أرسلوا لهداية الناس والسير بهم الى الصراط المستقيم ،
فلا نتناول أعمالهم بالنقد والتجريح .

فليس لنا مثلا أن نقول : كيف خلق الله عيسى عليه السلام ؟
متناسين أن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلقه وأنه خلق من
قبله آدم — عليه السلام — بطريقة يعجز البشر عن معرفتها .
» ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم
قال له كن فيكون « (١) » .

أو نقول لماذا لم يتزوج النبی عيسى عليه السلام
طيلة حياته ؟ نحاول أن ننال منه أو ننقص من منزلته لأنه سار
على سنة غير سنة البشر .

» ذلك عيسى ابن مريم ، قول الحق الذى فيه يمترون « (٢) » .

فهذا ومثله ينبغي أن نرده الى خالق الأرض والسماء ،
ولا نسمح لعقولنا القاصرة أن تفكر فيه تفكيراً سلبياً
الا اذا كان التفكير يهدينا الى سبب وحكمة تنير لنا الطريق
لعنى سام وغاية نبيلة .

* * *

(٢) مريم : ٢٤ .

(١) آل عمران : ٥٩ .

ولا يحق لنا أن نأخذ على النبي موسى عليه السلام مأخذا حينما ضرب الرجل المصرى الذى كان يتقاتل مع الاسرائيلى فقتله .

« ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه» (١) فهذا لحكمة أرادها الله تعالى وموسى — عليه السلام — فى بداية دعوته .

أو حينما غضب وأساء الى أخيه هارون فلم يتمالك نفسه ، وأخذ برأس أخيه يجره اليه كما أخبرتنا الكتب المقدسة ، وكان فى طبيعته — عليه السلام — بعض الحدة التى لا تنفر .

« قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى» (٢) .

فما فعله النبي موسى — عليه السلام — لا ينبغى أن نصفه بصفة تقلل من قدره ولا من مروءته .

وليس لنا نحن البشر أن نفوه بكلمة نقد تجاه خاتم النبيين محمد — صلى الله عليه وسلم — لأنه قروج وقد

(٢) طه : ٩٤ .

(١) القصص : ١٥ .

تجاوز الخمسين أكثر من عشر نساء ، وهى سن قد ينصرف
الانسان فيها عن الرغبة الجنسية الى عاطفة فيها شيء من
التعقل ، فلا يليق بانسان مهما يكن تفكيره أو ادراكه وفهمه
أن يقول ان النبى محمد صلى الله عليه وسلم تزوج هؤلاء
النسوة ، وهو فى هذه السن وعيشه عيش الكفاف والزهد ،
لأنه كان مغرما أو مشغوبا بالنساء .

فلم يكن زواجه بهؤلاء الا لحكمة أرادها الله وتنفيذا
لأمر منه اما صريحا كما فى قصة زواجه بزینب بنت جحش —
رضى الله عنها — واما ضمنا كما فى زواجه بغيرها ، اذلك
نجد رب السماء ينهائى ، وقد قارب الستين عن الزواج مهما
تكن الأسباب .

« لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج
ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل
شيء رقيبا » (١) .

ولقد بدأت الكتاب بتمهيد بينت فيه أن ما أتى به الرسول
الأعظم — صلى الله عليه وسلم — لم يكن بدعا من الرسل فقد
تزوج كثيرون منهم أكثر من واحدة .

وكانت أول من تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم
خديجة بنت خويلد — رضى الله عنها — وكانت ذات عقل وجمال

(١) الاحزاب : ٥٢ .

ومال ، فساعدته على فترة ما قبل الرسالة ، وهى أصعب بكثير مما بعدها لأن تلك الفترة كانت فترة استعداد وتمرين لتحمل أمر رب السماء ، وهو ليس بالهين ، فلا يستطيع الانسان أن يسمو بروحه الا بترك الدنيا والانقطاع للعبادة والتخلص من المادية والاتجاه الى ما يساعد على صفاء الروح . وقد ساعدته الزوجة الوفية رضى الله عنها على ذلك كله ، فلم يحدث ما يعكر صفو الرسول أو يؤخر من صعوده الى مهمته ، حتى جاءه الوحي فأمنت به وصدقته وظلت تدافع عنه أعداء الدعوة حتى صعدت روحها الطاهرة الى الرفيق الأعلى .



ولقد أشفق أصحاب الرسول — صلى الله عليه وسلم — عليه وأهمهم ما فيه من حزن ، فوكلوا الى صاحبية جليلة تدعى خولة بنت حكيم أن تختار له من تساعد في بيته ، فاختارت له أرملة ليست جميلة توفى عنها زوجها ، وخطبت له عائشة بنت أبى بكر — رضى الله عنهما — وأخبرت النبى بموافقة والديها فوافق النبى صلى الله عليه وسلم على ما ذهبت اليه .

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب — رضى الله عنهما — تكريما لوالدها ، فقد عرضها أبوها ، بعد موت زوجها ، على أبى بكر وعلى عثمان — رضى الله عنهما — فامتنعا وبسببها نزل كثير من القرآن ، وبعدها تزوج زينب بنت خزيمة

— رضى الله عنها — وكان زوجها قد استشهد في غزوة أحد •
وتزوج أم حبيبة — رضى الله عنها — التي توفي زوجها في
الحبشة ، وتولى العقد النجاشي حاكم الحبشة ، ثم ميمونة
— رضى الله عنها — وغيرها • ولعل من أشهر نسائه صفية — رضى
الله عنها — التي حارب النبي أهلها حينما نقضوا العهد ، وقتل في
المعركة زوجها وعمها وأبوها ، ولكنها أحبت النبي صلى الله عليه
وسلم ، ويظهر ذلك الحب الشديد حينما نزل به المرض
فحزنت وبكت ، وقالت مخاطبة النبي الكريم : « إني والله
يا نبي الله وددت الذي بك بى » •



ثم بينت الحكمة من تعدد زوجات النبي محمد ، صلوات
الله وسلامه عليه ، بعد أن توثقت الصلة بينه وبين ربه ،
وأصبح اختيار هؤلاء الزوجات لمصلحة الدعوة ، وليس
لشخص محمد — صلى الله عليه وسلم — فائدة تذكر من
الجمع بين هذا العدد ان لم نقل انه صادف بعض المتاعب
من جراء تلك الكثرة ، وما نراه سببا لذلك الا ليكون دليلا
على صدق دعوته الى الاسلام ، وأن هذه الدعوة من عند
الله ، فالزوجة أقرب الناس الى زوجها ، ومن سيرته تعرف
عاداته وطباعه وكذبه وصدقه واحتياله واخلاصه ، فلو
كانت واحدة فقد تكذب أو اثنتين أو ثلاثا فقد ينافقن ، وقد
يجوز ذلك اذا كن أربعاً أو خمساً ، أما اذا كن أكثر من عشر

فان ذلك يكون مستبعدا ، وبخاصة أن منهن من قتل زوجها وعمها وأبوها في الحرب فلو كان محمد — وحاش الله — دعيًا أو كذابا أو منافقا ، فهل يمكن لمثل صفية — رضى الله عنها — أن تترك أهلها ومن بقى من عشيرتها لتكون مع هذا الأفاق مثلا ؟ كلا . وكذلك بنت أبى سفيان وجويرية بنت الحارث رضى الله عنهما .

فلو أن هؤلاء رأين أدنى شيء يدل على كذب النبى محمد — صلى الله عليه وسلم — لتركناه وأسرعن الى ذويهن لينشرن كذبه وكهنته لكنهن آمن به وأخلصن له ، وتعاون معه على نشر الدعوة ، فكان هذا الاجماع دليلا واضحا على صدق النبى محمد — صلى الله عليه وسلم — وأن دعوته من عند خالق السماء والأرض وأن ما يقوله صادق فيه .

ولم يكن فى بيت النبى محمد — صلى الله عليه وسلم — نعيم أو رفاهية حتى يتمسكن بالحياة معه ، بل غالبا ما يمر اليوم وهن صائمات لا يجدن ما يأكلن ومع ذلك فضلن الحياة معه .



ومن حكم المتعدد أيضا أن نتعلم من النبى محمد صلى الله عليه وسلم خلقه العظيم فى معاملة الزوجة ، فلم يؤثر عنه أنه أهان زوجة أو سبها أو كلمها كلمة نابية ، بل كانت معاملته مثلا أعلى يقتدى به . ويظهر هذا الخلق العظيم حينما اتهمت عائشة ولاكتها الألسنة ، وانتشرت الشائعات

حولها وتناقشها الناس من مكان الى مكان • وغضب النبي وراح
يسأل ويناقش وعائشة معه ، ولم يرض أن يكون أول ناقل
للخبر السيئ فقد يكون الخبر كاذبا ، وكان بها رؤوفا رحيمًا
حتى أنزل الله ببراءتها قرآنا يتلى •

وكثيرا ما كان يوصى بالنساء خيرا في كثير من أقواله
ومساعدته لهن في البيت دليل واضح •

ولقد كان للزوجات حرية الكلمة والتعبير عن الرأي بكل
شجاعة ما دام ذلك لا يغضب رب السماء أو يمس شعور
الأخريات • وكثيرا ما كان يردهن بالحسنى • وقد يغضب أحيانا
ويظهر ذلك على وجهه ، ولكنه يسرع فيستغفر الله ويطلب ممن
أساءت التوبة والرجوع الى الله •

وهناك حكم أخرى لتعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام :
منها ادخال السرور على قلوب النساء اللاتي مات أزواجهن
في الجهاد والقتال في سبيل الله ، وذلك بتقريبهن اليه بالزواج •
وأیضا مساعدة من مات أزواجهن على تربية أولادهن
وكان لهن سبق الاسلام •

وبجانب هذا فقد كان نشر قواعد الاسلام يقتضى أن
تكون له زوجات كثيرات ينقلن عنه تعاليم رب السماء ، وزوجة
النبي أقرب الناس وأولى بمعرفة الكثير من الأحكام ، وبخاصة
الأمر التي لا يستطيع نقلها الا الزوجات •

ولما مات النبي محمد — صلى الله عليه وسلم — كانت بيوت
الزوجات مراجع يأتى إليها المسلمون ليتعلموا الدين ، فكانت
الزوجات تروى كثيرا من أحاديثه وكلامه وتربيته •

ثم نرد على شبهه المغرضين والمتعصبين الذين يرمون
النبي محمدا — صلى الله عليه وسلم — بما ليس فيه ، ويصور
لهم قصر عقولهم اتهامات نرى أن الرسول برىء منها •

ونختتم الكتاب بما روى عن معيشة النبي محمد
— صلى الله عليه وسلم — وخلو بيته من مقومات الحياة راضيا
بالقليل كما علمه رب العالمين • ولا يمكن لمن ابتعد عن ملاذ
الطعام والشراب والملبس والفراش أن يلتفت الى التمتع
بملاذ الحياة •

ولقد أجمعت زوجاته — رضى الله عنهن — على أنه كان يقوم
الليل حتى تتورم قدماه فليس في حياته أى مطلب للدنيا ، وإنما
كان منشغلا بالحياة الآخرة بعد الموت وما يدخره الله له من
النعيم في الحياة الثانية ، وما ذلك الا لأنه أرسل من الله
لهداية الناس • فما أحوج البشرية الى دراسة خلقه والاقتداء
به حتى يعيش الناس متآخين متحابين •

والله أسأل أن يوفقنا لظهار أسرار دينه الخالد على مر
الزمان والأيام •

ابراهيم الجمل

الزوجات

تمهيد :

تزوج النبي محمد — صلى الله عليه وسلم — أكثر من عشر نساء لمصلحة الدعوة واتباعا لأمر الله عز وجل وسيرا في الطريق الذي سار فيه الرسل والأنبياء من قبل .

« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله » (١) .

وان عقولنا نحن البشر لا تعد الزواج نقصا في حق العظماء والحكماء الذين نبغوا في العلم والاختراع والقيادة ، فكيف يكون ذلك نقصا في حق من أرسلهم الله لهداية البشرية الى الطريق المستقيم .

ولم يكن الرسول الأعظم مبتدعا فيما جاء به ، ولقد خاطبه الله سبحانه وتعالى فقال :

« قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي

(١) الرعد : ٢٨ .

ولا بكم ، ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين» (١) •

وقديما تزوج رسل وأنبياء قبل محمد — صلى الله عليه وسلم — بأكثر من واحدة فابراهيم — عليه السلام — جمع بين سارة وهاجر ، ويعقوب — عليه السلام — تزوج راحيل ، وبهة ، وليئة ، وزلفة •

ويروى أنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سيرة • ولسليمان من داود — عليهما السلام — سبعمائة من النساء وثلاثمائة من السرارى •

وسنعرض شيئاً من سيرة زوجاته عليه الصلاة والسلام ، ثم نأتى بعد ذلك بالحكمة من هذا الزواج •

* * *

(١) الاحقاف : ٩ •

السيدة خديجة (رضى الله عنها) (*)

جاوز محمد بن عبد الله — صلى الله عليه وسلم — العشرين ،
فأينع صباه ، واكتمل شبابه ، وسيم الطلعة نبيل الملامح ،
متدفق الرجولة ، تعلو وجهه المشرق مسحة الحزن لفقد الأم
والأب والجـد .

أصبح محمد — صلى الله عليه وسلم — فتى ، يغمره عمه
أبو طالب بالحنان والحب ، ويفيض عليه من العطف الذى
يخفف عنه كثيرا من الآلام التى تعترض تفكيره ، فكان ينير له
الطريق بخبرته وتجاربه .

كان يرعى الغنم والابل فى صغره ، وكان ينطلق وراءها
يحرسها ويرعاها . أما وقد كبر وما عاد يصلح لهذا العمل ، فقد
فكر له عمه فى عمل يدر ربحا أكثر ويعود عليه بالخير والمنفعة ،
ويتفق مع ما يتحلى به محمد من صفات وما تجمل به من خلق ،
فقال له يوما :

« ان خديجة بنت خويلد — رضى الله عنها — لها مال ورجال

(*) سوف يظهر ان شاء الله كتابنا الخاص بالسيدة خديجة
رضى الله عنها .

يتجرون لها ويصيبون المنافع ، وهذه غير قومنا أخذت تستعد
للخروج الى الشام ، وأنت — يا ابن أخى — تصلح لهذا
الأمر ، فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما عرف الجميع عنك
من الطهارة والأمانة » •

وافق الفتى محمد — صلى الله عليه وسلم — على ما ارتآه
عمه ، وسرت خديجة أعظم سرور بانضمام محمد — صلى الله
عليه وسلم — الشاب المثالى الذى لا تتقطع منقديات مكة عن
ذكر مآثره والثناء عليه ، الى رجالها ، بل لقد شغلها بما جبل
عليه عنهم ، أجمعين ، لذلك فقد فضلته ووعدت بأن تعطيه
ضعف ما كانت تعطى غيره ممن استأجرتهم من قبل •

سارت القافلة ، وكان فى رفقة محمد غلامها ميسرة ،
ورأى الغلام من محمد ما أعجبه وأدهشه ، أمانة وإخلاصا
ورجولة وصبرا وجدا وحكمة ، بل رأى ما يذهل العقل
ويثير الوجدان •

قالوا : عندما قدم محمد — صلى الله عليه وسلم —
الشام نزل فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ،
فاطلع الراهب الى ميسرة ، وقال : من هذا الرجل الذى نزل
تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا الرجل من أهل مكة ،
فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبى •
باع محمد — صلى الله عليه وسلم — سلعته التى خرج

بها من مكة واشترى ما أراد ، ثم أقبل قافلا الى مكة ومعه
ميسرة ، وقيل ان سحابة كانت تظله اذا اشتد الحر وقويت
حرارة الشمس وهو على بعيره ، وتستمر حتى يذهب القيظ .

عقد ميسرة هذا كله على صدره ، فمن سيحدث بما
رأى وسمع ، ان سيديته أولى الناس بأن يقص عليها هذه
الأحاديث المشجية .

لقد ربحت التجارة ربها هائلا ، لم ينقص منه نقير
أو قطمير ، وحمل بأكمله الى خديجة ، وراح ميسرة يقص على
سيديته ما لم يره أحد بل ولم يسمعه من القصاص ،
وخديجة - رضى الله عنها - تنصت بقلبها الكبير وعقلها الناضج ،
وهي من هي أباء وشمما ونزاهة ومجداً وجاهاً ومالا ، فكانت
ندعى في الجاهلية بإطاهرة .

هي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ، تلتقى مع
محمد - صلى الله عليه وسلم - في جده قصي ، وخويلد هذا
ممن قادوا قريشا في حرب الفجار ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن
الأصم من بنى عامر بن لؤى أحد أجداد محمد ، وعمها عمر بن
أسد ، وابنا عمها حكيم بن حزام وورقة بن نوفل ، فهي من
كبريات القوم ، قرشية شريفة موسرة ذات جمال وغطنة .

ولدت بمكة حوالى منتصف القرن السادس الميلادى ،
ونشأت معززة مكرمة ، ثم تزوجت في فجر شبابها من عتيق بن

عابد بن مخزوم فولدت له حارثة ، ثم خلف عليها بعده
أبو هالة مالك بن القياس بن زرارة أحد بنى عمر بن تيم
فوادت له ولدا وبنتا ، فلما مات خطبها كثيرون من سادات قريش
فأبت وامتنعت برغم توددهم والباحهم •

لكن قلبها تفتح لمحمد — صلى الله عليه وسلم — وهى
المعجبة بأخلاقه وسيرته الكريمة ، ورأت فى فتى قريش ما لم تره
فى السادة من قريش الذين تراحموا على بابها يظنّون يدها ••
رأت فيه تحقيقا لأمل طالما حلمت به وتمنته ، فهو كما قالوا :

« شاب وسيم ، معرب الملامح ، أزهر اللون ، ربعة فى
الرجال ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد ، ضخم
الرأس ، مبسوط الجبين ، مرسل الذقن ، عالى العنق ، عريض
الصدر ، غليظ الكفين والقدمين ، يتوج هامته شعر كث شديد
السواد ، وتشع عيناه الدعجوان الواسعتان جاذبية وسحرا
تحت أهداب طوال حوالك ، وتتألق أسنانه المفلجة اذا تكلم
أو ابتسم » •

وفوق ذلك فهو عريق النسب طيب العنصر ، عظيم
الشخصية ، زيادة على ما يمتاز به خلقا وأدبا ورأيا •

لكنها حبست وجدها فى صدرها ، فقد قالوا : « ربما تلقى
اعراضا منه مثل الاعراض الذى لاقتة رقية بنت نوفل أخت ورقة
بنت عم خديجة • فلقد حضرت رقية الى الكعبة ، ورأت عبد الله

ابن عبد المطلب والد محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد هم
عبد المطلب بذبحه فداء الأولاده ، فتحرك قلبها لعبد الله حبا
واعجابا وشفقة واكبارا ، فما ان استبدل الذبيح بأن افتدى
بمائة ناقة نحرت بديلا عنه حتى أسرع اليه عرضت نفسها
عليه قائلة :

« ولك مثل الابل المائة التي نحرت عنك »

لكن عبد الله اعتذر في تल्प ، ومضى ليتزوج آمنة بنت
وهب أم محمد — صلى الله عليه وسلم •

كان حب خديجة — رضى الله عنها — أكبر من أن يكتم في
قلبها ، ولكن الحياء أمسكها أن تذهب اليه يمنعا كبرياؤها ،
ولم تستطع أن تفوه به لانسان الا الى صديقتها المخلصة
نفيسة بنت منبه — وكانت تثق فيها وتأمينها على سرها —
فباحث لها برغبتها •

أشفقت نفيسة على صاحبها ، ورسمت خطة تحقق
بها أمنية خديجة — رضى الله عنها — فجاءت محمدا — صلى الله
عليه وسلم — وسألته عن سبب عزوفه عن الزواج وهو في سن
الاكتمال ، وبحاجة الى زوجة يسكن اليها تؤنسها وتزيل
وحشته ، فشكا اليها محمد — صلى الله عليه وسلم — قلة
ذات اليد •

فأجابت سريعا : « ما رأيك لو دعيت الى الجمال والمال
والشرف والكفاءة .. ألا تجيب ؟ » •

فقال محمد — صلى الله عليه وسلم — على الفور :
« تلك خديجة ورب الكعبة » •

ورأت نفيسة من محمد — صلى الله عليه وسلم — علامة
الرضا والموافقة ، فأسرعت الى خديجة فرحة مسرورة مهتة
بتحقيق أمنيته • ولم يمض وقت طويل حتى كان محمد
— صلى الله عليه وسلم — يدق باب خديجة — رضى الله عنها —
ومعه عماء أبو طالب وحمزة • وفي بيت خديجة العريق وجدوا
عليه القوم في انتظارهم وقد هبى كل شيء لاتمام الزواج •

وتكلم أبو طالب فكان مما قال :

« ... فان محمدا ممن لا يوازن به فتى من قريش
الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، وان كان فى المال
قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة
بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ... » •

وتكلم عم خديجة — رضى الله عنها — فأثنى على محمد
— صلى الله عليه وسلم — ، وتعرض لكثير من صفاته ، ثم
زوجها على صداق قدره عشرون بكرة •

* * *

بدأ محمد — صلى الله عليه وسلم — حياته الزوجية وكان

في الخامسة والعشرين ، أما خديجة فكانت تكبره ببضع سنين ،
وليس في سن الأربعين كما يروى لنا معظم الرواة . فحينما
تزوجت خديجة - رضى الله عنها - من محمد - صلى الله عليه
وسلم - كانت تكبره ببضع سنين لا تزيد على الثمانى أو
العشر ، فلو أن سنها عند الزواج أربعون لكنت قد قربت من سن
اليأس وهى السن التى ينقطع فيها دم الحيض فلا تلد المرأة
وهى فى الغالب سن الخامسة والأربعين .

وعلى فرض أن تبقى سن الولادة الى الخمسين ، فمن
المستبعد أن تبقى الى سن الخامسة والخمسين .

فقد نقل السهيلي فى « الروض الأنف » عن رواية الزبير
ابن العوام بن خويلد قوله :

« ولدت خديجة - رضى الله عنها - له القاسم وعبد الله
وهو الطاهر والطيب ، سمي بالطاهر والطيب لأنه ولد بعد
النبوة ، واسمه الذى سمي به أولا عبد الله » .

وسن النبوة كان فى الأربعين للرسول عليه الصلاة
والسلام ، فتكون خديجة - رضى الله عنها - قد أربت على
الخامسة والخمسين .

وروى أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
على خديجة - رضى الله عنها - بعد بعثته وهى تبكى ، فقالت :

يا رسول الله درت لبينة القاسم^(١) ، فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعته ، فقال الأب الرسول : « ان له مرضعا في الجنة تستكمل رضاعته » • قالت : لو أعلم ذلك لهون على ، فقال النبي : « ان شئت أسمعك صوته في الجنة » فأجابت : بل أصدق الله ورسوله •
وورد أيضا في ترجمة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها :
« فولدت له القاسم وعبد الله وهو الطيب الطاهر ،
سمى بذلك لأنها ولدته في الاسلام »^(٢) •

ولذلك فنحن نميل الى القول بأن أم المؤمنين خديجة تزوجت الرسول — صلى الله عليه وسلم — ولم تكن تكبره الا بوضع سنوات ، ولم تكن في سن الأربعين كما ذهب معظم الرواة ، ولا عبرة بما يقال من « أن نساء قريش يلدن بعد الستين ، ويحتفظن بجمالهن ونضارتهن الى المائة » •

سارت الحياة الزوجية موفقة هادئة ، يملؤها الحب والاخلاص ، فجمعت بين راحة البال ، واطمئنان النفس وكان رجل البيت يقسم وقته بين بيته وتجارته وعبادة ربه ، كان يذهب الى غار حراء للتعبد والتأمل والتفكير على دين ابراهيم عليه السلام •

ورزق من خديجة — رضى الله عنها — جميع اولاده ،

(١) لبينة : تصغير لبنة ، تعنى بها بقايا اللبن في الثدي •

(٢) الاصابة : ج ٨ ص ٦١ •

ما عدا ابراهيم فانه من مارية المصرية ، وكان أهداها له المقوقس
حاكم مصر • وأولاده هم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة
وعبد الله والقاسم ، وكان يكنى به عليه الصلاة والسلام •

ظلت خديجة — رضى الله عنها — طوال حياتها مع الرسول
صلى الله عليه وسلم • وكانت فترة ما قبل الوحي من أشق
الأيام فى حياة الرسول حيث يستعد للقاء لم يألّفه الانسان ،
وليس للانسان العادى قدرة على تحمل أعباء ما يكلف به ،
وأمر الرسالة ليس هينا ، وسوف نولى تلك الفترة شيئا
من التفصيل عند الكلام على الحكمة من تعدد زوجاته صلى الله
عليه وسلم •

ولما شرف الله محمدا — صلى الله عليه وسلم — برسالته
المخالدة ، كانت خديجة — رضى الله عنها — أول من آمن به وكان
إيمانها عن عقيدة وفكر وتدبر ، فقد روى أنه حينما أخبرها
الرسول — صلى الله عليه وسلم — بأمر الرسالة والملك
والسماء أرادت أن تتأكد من حضور الملك — وكانت على علم
بأن الملك لا يدخل مكانا فيه امرأة حاسرة الرأس — فلما أخبرها
الرسول — صلى الله عليه وسلم — بأن الملك قد حضر — وكانت
جالسة معه — أرادت أن تتأكد من وجوده وأنه ملك ، فكتفت
غطاء رأسها ، فأخبرها الرسول — صلى الله عليه وسلم —
بأن الملك قد ذهب فتأكدت بنفسها من الأمر العظيم •

وقد قامت — رضى الله عنها — بدور خطير ، وتحملت أقسى ما يصادفه انسان منعم في حياته ، كانت تدفع عنه سادة قريش وهم يكيلون له الاساءة بأنواعها ، وكانت تشد من أزره ، وتقوى من عزيمته وتصبره •

ولعل أقوى ما صادف خديجة — رضى الله عنها — هو المقاطعة التى تعرض لها بنو هاشم وبنو عبد المطلب بسبب ما يدعوا اليه محمد — صلى الله عليه وسلم — فقد خرجت خديجة — رضى الله عنها — من بيتها لتنضم الى بنى هاشم وقد جاوزت الستين من عمرها ، وحاصر المشركون الجميع ، وقد كتب الصحيفة البغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ، وقطعوا على أنفسهم عهدا بمنع الميرة والمادة والأسواق ، وألا يقبلوا صلحا أبدا ما لم يسلموا محمدا — صلى الله عليه وسلم — ليقتل ، وصار المحاصرون لا يخرجون الا من الموسم الى الموسم ، فقاموا بذلك مشقة وبلاء مكثوا فيها ثلاث سنين مع ضيق العيش والجوع والأذى ، فكان صوت الصبيان يسمع وهم يتضاغون من شدة الجوع والألم • ولم تكن خديجة بأقل من هؤلاء الصبية وقد أصابها المرض ودبت الشيخوخة الى جسدها ، ثم ثار رجال من المشركين على المقاطعة ، ومزقت الصحيفة ورجعت خديجة الى دارها ، وكان الاعياء والتعب قد نالا منها فلزمت فراشها ، وكان الزوج الوفي يمرضها بنفسه ، لا يفارقها ليلا ولا نهارا ينظر اليها فيتمثل في خاطره

صورة الأم والأخت والزوجة ، حتى حم القضاء فأسلمت روحها الطاهرة الى خالقها في العام الذي خرجت فيه من الشعب بعد ثلاثة أيام من موت أبي طالب ، وكانت وفاة أبي طالب بعد ثمانية أشهر وواحد وعشرين يوما من الخروج من الشعب .

قال حكيم بن حزام : « ودفناها بالحجون ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها ، ولم يكن يومئذ صلاة جنازة حيث لم تكن قد فرضت » (١) .

وخلت الدار من الأنيس ، وأوحش المكان الا من بناته اللاتي يرى صلى الله عليه وسلم فيهن صورة أجمل وأبر زوجة ، وكانت كما قالوا عنها : وزير صدق يأخذ برأيها وتساعدده على ما يصادفه من قسوة قومه .

وما كاد الألم والحزن والمتاعب تستولى على النبي صلى الله عليه وسلم — لفقد الزوجة الحبيبة حتى فتحت له السماء ذراعيها تلحظه عناية الله ورعايته ، وجبريل معه والسابقون الأولون يبدون نشاطا ملحوظا ، والدعوة ترحف في كل مكان ، ويتنقلها الركبان الى أنحاء الجزيرة العربية وأفريقية ، وكان من أخلص الناس وأوفاهم للدعوة أولئك الذين أتوا من يثرب لمبايعته عليه الصلاة والسلام .

* * *

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٢ ص ٩ .

انتقلت خديجة — رضى الله عنها — الى الرفيق الأعلى ،
وتركت في قلب النبي — صلى الله عليه وسلم — مكانة لم تملأها
امرأة بعدها ، ومهما يكن من مجاملة النبي — صلى الله عليه
وسلم — لزوجاته فيما بعد ، فانهن لم يبلغن منزلة خديجة
— رضى الله عنها — كان يحن لكل ما يعود به الى ذكرى خديجة
— رضى الله عنها — ويتودد الى كل من له صلة بها .

أقبلت أخت خديجة — رضى الله عنها — واسمها « هالة »
لزيارة المدينة ، وسمع الرسول — صلى الله عليه وسلم — صوتها
في فناء بيته ، وكان يشبه صوت خديجة — رضى الله عنها —
فهش لها قائلاً : « اللهم هالة أخت خديجة ! »

روى عن عائشة — رضى الله عنها — أنها قالت : « كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى
يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء ، فذكرها يوماً من الأيام
فأدركتني الغيرة فقلت : هل كانت الا عجوزا قد أخلف الله لك
خييراً منها . . قالت : فغضب صلى الله عليه وسلم حتى اهتر
مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : « لا والله ما أخلف الله
لى خيراً منها . لقد آمنت اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى
الناس ، وواستتنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله
عز وجل أولادها اذ حرمنى أولاد النساء . قالت : فقلت بينى
وبين نفسى : لا أذكرها بسوء أبداً » (١) .

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده .

وروى عنها أيضا قالت : « ما غرت على أحد من نساء
النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ، وما رأيتها
ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ، وربما
ذبح الشاة يقطعها أعضاء ثم يبيعها في صدائق خديجة ، وربما
قلت له : كأن لم يكن في الدنيا امرأة الا خديجة فيقول : « انها
كانت وكان لى منها ولد » (١) •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير نسائها
مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد » •
وأشار الراوى الى السماء والأرض — أخرجها الشياخان
والترمذى •

وزارت امرأة عجوز النبي — صلى الله عليه وسلم — في
بيت عائشة رضى الله عنها ، ففحش لها وأكرمها ، وبسط لها رداءه
فأجلسها عليه • فلما انصرفت سألت عائشة عنها لتعلم سبب
إكرامه لها ، فأخبرها صلى الله عليه وسلم أنها كانت تزور
خديجة رضى الله عنها •

ولم تنس السماء أن تتوج هذا الحب ، وأن تقدر
الدور العظيم الذى قامت به لمساندة دعوة الاسلام ، وعنصرها
الطيب الذى تفاعل مع النبي عليه الصلاة والسلام وتفانيها
في خدمة الرسول الذى أرسل الى الناس أجمعين •

(١) أخرجاه في الصحيحين البخارى ومسلم في فضائل خديجة .

روى أنه جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : أقرئ خديجة السلام من ربها .

فقالت خديجة — رضى الله عنها — بعد أن أبلغها السلام :

« الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام » .

وقد بشرها الله جل جلاله على لسان نبيه محمد صلى الله

عليه وسلم ببیت في الجنة من قصب^(١) ، لا صخب^(٢)

ولا نصب^(٣) .

رضي الله عنها ورفع مكانتها في أعلى عليين .

(١) القصب : النؤلؤ . (٢) الصخب : الضوضاء .

(٣) النصب : التعب .

السيدة سودة (رضى الله عنها)

كان الصحابة يهتمون بأمور النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يؤلمهم ويحزن قلوبهم وحدة النبي — صلى الله عليه وسلم — وخلو البيت من أنيس ، ولكنهم لم يجروا على مخاطبته في هذا الأمر خوفا ألا ينال رضا الرسول ، فكانوا يلتفون حوله وتحتبس الكلمات في أفواههم الى أن تجرأت يوما خولة بنت حكيم بن الأوقص السلمية امرأة عثمان بن مظعون فقالت : يا رسول الله .. ألا تزوج ؟

قال : من ؟

قالت : ان شئت بكرا وان شئت ثيبا .

قال : فمن البكر ؟

قالت : ابنة أحب خلق الله اليك عائشة بنت أبى بكر .

قال : فمن الثيب ؟

قالت : سودة بنت زمعة — رضى الله عنها — آمنت بك واتبعتك على ما آنت عليه .

قال : اذهبي فاذكريها على .

قالت : •• فدخلت على سودة بنت زمعة — رضى الله عنها — فقلت : ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت : وما ذاك ؟ قلت : أرسلنى رسول الله أخطبك عليه • قالت : وددت ، ادخلنى على أبى فاذكرى ذاك له •

دخلت خولة عليه فحيته ، فقال الشيخ الكبير والد سودة : من هذه ؟ فقالت : خولة بنت حكيم • فقال : فما شأنك ؟ قالت : أرسلنى محمد بن عبد الله — صلى الله عليه وسلم — أخطب عليه سودة ، فقال : كفؤ كريم ، فماذا تقول صاحبتك ؟ قالت : تحب ذلك • فقال : ادعيه لى • فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه •

* * *

يوم أن خطب النبى — صلى الله عليه وسلم — سودة — رضى الله عنها — كانت أرملة مسنة غير ذات جمال ، ولكنها كانت من السابقين الى الاسلام ، فقد أسلمت مع زوجها السكران بن عمرو من بنى عامر بن لؤى ، وأذنتها مكة مما اضطرها الى أن تخرج هى وزوجها مع الخارجين الفارين بدينهم الى الحبشة مهاجرين •

ثم مات زوجها السكران بعيدا عن أرضه فترملت سودة — رضى الله عنها — وما نشك أن النبى — صلى الله عليه وسلم — فرح كثيرا بمد يده الرحيمة ليهون عليها آلام الحياة وقسوتها وبخاصة أنها لم يكن بها ما يرغب فى الزواج منها •

دخلت بيت الرسول — صلى الله عليه وسلم — وكانت
سعيدة بخدمة بنات الرسول — صلى الله عليه وسلم — وكانت
أكثر سعادة حينما كان الرسول — صلى الله عليه وسلم —
يلاطفها ويضحك من مشيتها ، وكانت ثقيلة الجسم •

كانت طيبة القلب صافية النفس ، وكان النبي — صلى الله
عليه وسلم — يعرف فيها ذلك فكان يعفو عن هفواتها ، وظلت
تقوم بخدمة الرسول — صلى الله عليه وسلم — حتى امتلأ بيت
الرسول بعائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة — رضى
الله عنهن — ورضيت سودة بحظها ، وأراد النبي — صلى الله
عليه وسلم — أن يوفيهما من الحظ القلبي وكان القلب لم يطاوعه ،
فأراد النبي — صلى الله عليه وسلم — أن يسرحها فربما فى ذلك
راحة لها ، وكاشفها الرسول بالأمر عارضا عليها رأييه •

فماذا قالت ؟ قالت : يا رسول الله أمسكنى ، والله
ما بى على الأزواج من حرص ، ولكنى أحب أن يبعثنى الله يوم
القيامة زوجا لك •

فنزل فيها قول الله تعالى :

« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح
عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير » (١) •

(١) النساء : ١٢٨ •

ثم رأت أن تنتازل عن ليلتها ، فتنازلت عنها لأحب
الزوجات الى قلبها وانى قلب الرسول — صلى الله عليه وسلم —
قائلة :

« أبقنى يا رسول الله وأهب ليلتى لعائشة ، وانى
لا أريد ما تريد النساء » •

واكتفت سودة — رضى الله عنها — بأن تعيش فى كنف
الرسول ، وأن تراه حينما يمر عليها ، وأن تسعد برؤيته
صلى الله عليه وسلم ، وأن ترى فيه كل أمل فى الدنيا والآخرة ،
فما تريد شيئاً الا أن تبعث فى الآخرة زوجة للرسول — صلى
الله عليه وسلم — وأن تداوم على صلاتها وقيامها وصومها •

ولما لحق الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالرفيق
الأعلى ، روت ما حفظت من أحاديث الرسول الأمين ، وعمرت
الى آخر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه •

وظلت أم المؤمنين عائشة وفية لسودة — رضى الله عنهما —
حافضة لها ايثارها وحبها بما قالتها فيها : « ما من أحد أحب الى
من أن أكون فى سلاخه من سودة بنت زمعة الا أن بها حدة »
رحم الله سودة ورضى عنها •

* * *

السيدة عائشة (رضى الله عنها)

عند الكلام عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، يطيب لنا أن نرجع الى حديث الصحابية الجليلة خولة بنت حكيم رضى الله عنها ، تلك التى أرادت أن تقدم خدمة لرسول الله الصادق الأمين ، فاختارت له سودة بنت زمعة وفى نفس الوقت اختارت له عائشة — رضى الله عنهما — وتمضى فى حديثها فنقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما ذكرت له عائشة : « اذهبي فاذكريها على » • فجاءت فدخلت بيت أبى بكر فوجدت أم رومان أم عائشة رضى الله عنهما ، فقالت : يا أم رومان ! ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة ، قالت : وددت ، انتظرى أبا بكر فإنه آت ، فجاء أبو بكر رضى الله عنه ، فقالت : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة ، فقال : هل تصلح له ؟ إنما هى بنت أخيه •

فرجعت الى رسول الله فذكرت ذلك له ، فقال : « ارجعى اليه فقولى له : أنت أخى فى الاسلام وأنا أخوك ، وابنك تصلح لى » ، فرجعت فذكرت ذلك له ، فقال : انتظرى وخرج !

وكان المطعم بن عدي قد خطب عائشة من قبل لابنه جبير ، فكان على أبي بكر — رضى الله عنه — أن يتحلل أولا من وعده ، ولم ير أن يخلف هذا الموعد حتى ولو من أجل أحب الناس الى قلبه : الرسول — صلى الله عليه وسلم — الذى يكن له اعزازا يفوق كل اعزاز ، فأبو بكر رضى الله عنه لم يؤثر عنه أنه أخلف وعدا قط .

دخل أبو بكر — رضى الله عنه — على المطعم ، وكانت معه امرأته ، وسأله الرأى فى ابنته التى خطبها من قبل لابنه ، فأقبل الرجل على امرأته يسألها : ما تقولين فيما يقول أبو بكر ؟ فقالت زوجة المطعم مخاطبة أبا بكر : لعلنا ان أنكحنا هذا الصبى اليك تصبئه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه . فلم يجيبها أبو بكر وسأل المطعم بن عدي : ما تقول أنت ؟ فكان جوابه : انها تقول ما تسمع ، فكان هذا تحللا لأبى بكر من وعده ، فخرج من عنده وقد أذهب الله ما فى نفسه .

قال لخولة : ادعى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته ، فزوجها اياه وعائشة بنت ست أو سبع .



ثم كانت الهجرة الى المدينة وهاجر آل أبو بكر . وتروى عائشة فتقول : قالت : فجاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فدخل بيتنا ، فجاءت بى أمى وأنا فى أرجوحة ترجح بى بين

غدفين ، فأنزلتنى من الأرجوحة ولى جميمة فصرفتها ومسحت وجهى بشئ من الماء ، ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت عند الباب ، وانى الأنهج . حتى سكن بعض نفسى ، ثم دخلت بى ، فاذا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جالس على سرير فى بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فاحتبستنى فى حجرة ثم قالت : هؤلاء آهلك فبارك الله فيهم وبارك فيك !

فوثب الرجال والنساء فخرجوا ، وبنى بى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى بيتنا ، ثم تستمر فى حديثها فتقول : ما نحرت على جزور ولا ذبحت على شاة ، حتى أرسل الينا سعد بن عبادة رضى الله عنه بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اذا دار الى نسائه وأنا بنت تسع سنين(١) .

هذه قصة الزواج ، كما روتها صاحبها عائشة — رضى الله عنها — وهى غنية عن التعريف ، فهى بنت أبى بكر الصديق ابن أبى قحافة أول من آمن بالرسول ورفيقه فى الغار ومصدقه فى كل ما جاء به ووزيره وخليفته من بعده .

وأما أم رومان بنت عامر الكنانية من الصحابيات الجليلات ، أسلمت مع زوجها وأخلصت لدينها وهاجرت الى

(١) أخرجاه فى الصحيحين .

المدينة. ثم توفيت في حياة الرسول فنزل قبرها واستغفر لها وقال :
« اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك » •

ولدت عائشة — رضى الله عنها — بمكة بعد أربع سنوات
من بعثه الرسول ، وقد رأى — صلى الله عليه وسلم — ابنة
صديقه وصفيه وهى تشب عن الطوق ، وكثيرا ما أوصى
بها أمها •

ولم تكن خطبة الرسول — صلى الله عليه وسلم — عائشة
— رضى الله عنها — وهى صغيرة بدعا ولا جديدا جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم من عنده ، بل سار على التقاليد المعروفة
والمتوارثة لذلك ، فلم يكن محل انتقاد من أحد ولا مثار جدل ،
فلم يكن هناك مطعن ولا منفذ للاتهام والتجريح ، بل لم نر من
أعداء الرسول — صلى الله عليه وسلم — من تعرض لهذا الزواج
ببنت شفة •

دخلت عائشة — رضى الله عنها — بيتها ، وهو حجرة من
الحجرات التى بنيت حول المسجد من اللبن وسعف النخيل ،
وقد وضع فيه فراش من آدم حشوه ليف ليس بينه وبين الأرض
إلا الحصير ، وعلى فتحة الباب أسدل ستار من الشعر •

كانت عائشة — رضى الله عنها — صغيرة السن ، لكنها
كانت متفهمة للحياة المقبلة عليها ، واعية للمهمة الملقاة عليها ،

فهي ليست زوجة عادية بل هي زوجة رسول وتبى ، وعليها أن تشاركه العبء الملقى عليه ، وتساعد في نشر الرسالة ، وتحفظ الأسس التي بنيت عليها الدعوة وتنتشرها في الآفاق .

ولكن ذلك لم يخرجها عن طبيعتها فهي الصغيرة التي تلعب أحيانا مع غريزاتها . روى عنها أنها قالت :

كنت ألعب بالبنات (اللعب) ويجئن صواحبات لى فيلعبن معى ، فاذا رأين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انقمعن منه ، فكان رسول الله يدخل فيلعبن معى .

كانت كبيرة القلب . ذكية ، حازمة ، حكيمة ، وهذا ما جعل النبي عليه السلام يحبها حبا شديدا ويعطف عليها ، فنالت من المنزلة عنده ما لم تنله غيرها من نسائه اللائى كن معها .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« يا عائشة حبك فى قلبى كالعروة الوثقى » (١) .

وكانت عائشة — رضى الله عنها — تسأله من وقت لآخر :
كيف حال العروة الوثقى يا رسول الله ؟ فيقول لها :
« انها على حالها لم تتغير ولم تتبدل » .

دخل عليها ضرائر كثيرات ، مختلفات الجمال ، متعدّدات

(١) حديث العروة الوثقى من الأحاديث الموضوعة .

المناقب ، مقتوعات الجنسية ، كلهن ثيبات ، وما كان لشل عائشة - رضى الله عنها - ومكانتها الا أن تغار ، لحبها الكبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وللطبيعة التى خلق الله المرأة عليها ، ولكن ليس علينا أن نبالغ فى الغيرة التى كانت لعائشة - رضى الله عنها - ولا أن نحملها مالا تطيق ، ولم يكن ذلك بغريب على رسول الانسانية وهو القائل :

« ان الله كتب الغيرة على النساء ، والجهاد على الرجال فمن صبر منهن ايماننا واحتسابا كان له مثل أجر الشهيد » (١) .

وربما غار زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - من عائشة - رضى الله عنها - فقد روى عنها أنها قالت : أرسل أزواج النبى - صلى الله عليه وسلم - فاستأذنت ، والنبى مع عائشة فى مرضها ، فأذن لها ، فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله : ان أزواجك أرسلننى اليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة . فقال النبى - صلى الله عليه وسلم : « أى بنية .. أأست تحبين ما أحب » ؟ فقالت : بلى . قال : « فأحبى هذه » ! قالت : فقامت فاطمة رضى الله عنها فخرجت ، فجاءت أزواج النبى - صلى الله عليه وسلم - فحدثتهن بما قالت وبما قال لها ، فقلن : ما أغنيت عنا من شئ فارجعى الى النبى - صلى الله

(١) الجامع الصغير للسيوطى ج ١ ص ١٢٠ .

عليه وسلم • فقالت فاطمة رضى الله عنها : والله لا أكلمه فيها أبدا • فأرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش — رضى الله عنها — فاستأذنت ، فأذن لها فدخلت فقالت : يا رسول الله •• أرسلنى إليك أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة • قالت عائشة — رضى الله عنها : ووقعت فى زينب • قالت عائشة : فطفقت أنظر الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى يأذن لى فيها • فلم أزل حتى عرفت أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يكره أن أنتصر ، قالت : فوقعت بزینب فلم أنشبها أن أفحمتها • فتبسم النبى — صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « انها ابنة أبى بكر » (١) •

وروى عن عروة قال : كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة — رضى الله عنها — قالت : فاجتمع صواحبى الى بيت أم سلمة رضى الله عنها فقالوا : يا أم سلمة وانا نريد الخير كما تريد عائشة فمرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا اليه حيثما كان • قالت : فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم قالت : فأعرض عني فلما كان فى الثالثة ذكرت له ذلك فقال : « يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فإنه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها » (٢) •

-
- (١) الحديث صحيح أخرجه مسلم فى فضائل عائشة بهذا اللفظ ، وأبو يعلى والبزار مختصرا بغير هذه القصة •
- (٢) الحديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم فى فضائل عائشة والنسائى فى عشرة النساء والترمذى فى فضائل عائشة •

وربما غارت عائشة — رضى الله عنها — من مارية المصرية لأنها رزقت الابن ، وربما غبطت خديجة — رضى الله عنها — لأنها لم تصل الى مكانتها من قلب الرسول ، أو غارت من أول يوم تنضم زوجة الى بيوت النبي ، ولكن الشيء الذى كانت تعتقده ، أن ما يجرى فى بيوت النبي والأحداث المتجددة كلها تخضع لحكمة ، وأن الرسول ليس ملاكاً لها ولا لزوجاته وإنما هو الذى تبع لما جاء به . هذه حقيقة ، والحقيقة كانت تغيب عنها فى بعض الأحيان فتصدر منها كلمة أو انفعالة ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتقبل ذلك متسامحاً رؤوفاً رحيماً . قالت له حينما تزوج زينب بنت جحش رضى الله عنها تنفيذاً لأمر رب السماء : « ما أرى ربك الا يسارع فى هواك » .

وحينما حمل ابنه ابراهيم يوماً ، دعا عائشة رضى الله عنها لترى فلذة كبده ، ولترى ملامح أبيه فيه ، ولكنها انفعلت وغضبت .

فحينما كانت تشتد بها الغيرة ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يلتمس لها عذراً فيقول : «ويحها لو استطاعت ما فعلت» . وقد يسألها أحياناً : أغرت ؟ فتجيب : وما لى لا يغار مثلى على مثلك .

ومن طريف اجابته — صلى الله عليه وسلم — أن غاطمة رضى الله عنها ذكرت لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما قالته عائشة — رضى الله عنها — فقد قالت لها مرة : ان رسول

الله تزوجني بكرة وتزوج أمك ثيبا • فذكرت فاطمة رضى الله عنها باكية لأبيها ما قالته عائشة • فقال لها الرسول الأعظم : « قولى لها : ان أبى تزوج أمى وهو بكر ولم يتزوج قبلها » !

ولعل أعظم ما تعرضت له عائشة رضى الله عنها فى حياة الرسول حادثة الافك ، وفيها ألقى على المسلمين درس يجب عليهم أن يعوه جيدا ، وأن يتعدوا عن رمى المحصنات ، وأن يكون لنا نحن المسلمين فيما حدث أم المؤمنين عظة وعبرة • وتقص أم المؤمنين — رضى الله عنها — ما حدث فنقول :

« ... كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه ، فأياها خرج سهمها خرج بها رسول الله معه • وأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى ، ثم قفلنا من الغزوة الى أن دنونا من المدينة ، فقامت حين آذنوا بالرحيل فتمشيت حتى جاوزت الجيش وقضيت من نسائى ، وأقبلت الى الرجل فلمست صدرى فاذا عقدى قد انقطع ، فرجعت ألتمسه فحبسنى ابتغاؤه ، وأقبل الى الرهط الذين كانوا يرحلون (١) فحملوا هودجى وهم يحسبون أنى فيه ، وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يهيلن (٢) ولم يغشنه أنما يأكلن العلقه من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه اذ كنت مع ذاك جارية حديثة السن ..

(١) أى يحملون الرجل على البعير .

(٢) يثقلهن اللحم والشحم .

« ووجدت عقدي فجئت منازل الجيش وليس بها داع
ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم
يفقدونني فيرجعون الي » .

« فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت . وكان
صفوان بن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فأدلى
قأصبع عند منزلي ، فرأى سواد انسان نائم ، فعرفني حين
رأني واسترجع . فاستيقظت وخمرت وجهي بجلبابي والله
ما يكلمني كلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ
راحلته وركبتها ، وانطلق يقودها حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا
في نحر الظهيرة . »

« فهلك من هلك في شأنني ، وكان الذي تولى كبره
عبد الله بن أبي سلول ، فاشتكت حين قدمنا المدينة شهرا
والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك . »

« . . ويريني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — اللطف الذي كنت أرى منه حين
أنتكي . انما يدخل رسول الله فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟
فذلك يريني ، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت
وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع . »

ثم عدنا فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس
مسطح .

قلت : بئس ما قلت ، أتسبين رجلاً قد شهد بدرا !

قالت : أى هنتاه ، أو لم تسمعى ما قال ؟ قلت : وماذا قال ؟
فأخبرتني بقول أهل الافك ، فازددت مرضاً الى مرضى ،
فلما رجعت الى بيتي فدخل على رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — فسلم ثم قال : كيف تيكمن ؟ استأذنت أن آتى أبوى ،
أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لى رسول الله — صلى الله
عليه وسلم — فجئت أبوى فقلت لأمى : يا أمتاه .. ما يتحدث
الناس ؟

قالت أمى : يا بنية هونى عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة
قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الاكثر عليها القول .

قلت : أى سبحان الله ! وقد تحدث الناس بهذا ؟

فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ، ولا
أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى .

ودعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على بن
أبى طالب — كرم الله وجهه — وأسامة بن زيد حين استلبثت^(١)
الوحي يستشيرهما فى فراق أهله . فأما أسامة بن زيد فأشار
على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالذى يعلم من براءة
أهله ، وبالذى يعلم فى نفسه لهم من الود ، وقال لرسول
الله — صلى الله عليه وسلم — : هم أهلك ولا نعلم الا خيراً .

(١) أبطاً .

وأما علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — فقال : لم يضيّق الله عليك ، والنساء سواها كثير .. وان تسأل الجارية تصدقك .

فدعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بريرة يسألها : هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟ قالت : والذي بعثك بالحق نبيا ان رأيت عليها (١) أمرا قط قد أغمصه (٢) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها . فتأتى الداجن فتأكله ..

وبكيت يومى ذاك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم . ثم بكيت ليلتى المقبلة لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم وأبوای يظنان أن البكاء فالق كبدى .

فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فسلم ثم جالس وتشهد ثم قال : « أما بعد يا عائشة .. فانى قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فان رأيت أنك بريئة فسيبرئك الله ، وان كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه ، فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه .

فاما قضى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه بقطرة ، فقلت لأبى : أجب عنى رسول الله ، فقال : والله ما أدرى ماذا أقول لرسول الله .

(٢) أعيبه عليها .

(١) أى ما رأيت .

« فقلت لأُمى : أجيبى عنى • قالت كذلك : والله ما أدرى
ماذا أقول لرسول الله •

قلت — وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن — :
انى والله لقد عرفت أنكم سمعتم بهذا حتى استقرر في نفوسكم
وصدقتم به ، فان قلت لكم انى بريئة — والله يعلم انى بريئة —
لا تصدقوننى ، ولئن اعترفت لكم بالأمر ، والله يعلم انى بريئة ،
لتصدقوننى ، والله والله •• ما أجد لى ولا لكم مثلاً الا كما قال
أبو يوسف :

« فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون » (١) •

ثم تحولت فاضطجعت على فراشى •

•• فوالله ما رام رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
مجلسه ، ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل
على نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي ، حتى
انه يتحدر منه مثل الجمان في اليوم الشاتى •

فلما سرى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو
يضحك ، كان أول كلمة تكلم بها أن قال : « أبشرى يا عائشة ! ••
أما الله فقد برأك » •

قالت لى أُمى : قومى اليه • قلت والله لا أقوم اليه •
ولا أحمد الا الله هو الذى برأنى •

(١) يوسف : ١٨ •

ثم خرج الى المسجد ، وتلا على الناس من وحى الله :
 « ان الذين جاعوا بالافك عصة منكم ، لا تحسبوه شرا
 لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ،
 والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . ولولا اذ سمعتموه
 ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبین .
 ولولا جاعوا عليه بأربعة شهداء ، فاذ لم يأتوا بالشهداء ،
 فأولئك عند الله هم الكاذبون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته
 فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما أفضتم فيه عذاب عظيم . اذ
 تلقوه بالسب وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم
 وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . ولولا اذ سمعتموه قلتم
 ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم .
 يعظكم الله أن تعبدوا لغيره أبدا ان كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم
 الآيات ، والله عليم حكيم . ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة
 فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم
 وأنتم لا تعلمون » (١) .



« موقف صعب عاشته بنت أبى بكر — رضى الله عنها —
 دامية الفؤاد ، مجروحة الكرامة ، كانت ضحية نفوس مريضة ،
 واشاعات مغرضة وأراجيف نشرها عصابة سوء ينتهزها قلة
 من المنافقين ليسيئوا الى النبى عليه الصلاة والسلام ، ولم

(١) النور : ١١ — ١٩ .

تكف المسكينة عن البكاء ليلها ونهارها ، فمس الشريف بسوء أمر بالغ الخطورة ، لا ينجى صاحبه فى معظم الأحيان الا بمعجزة كهذه المعجزة تقطع ألسنة المغرضين ، وتقضى على مخطط المنافقين ، وتبعد الظانين والشاكين عن التردد والحيرة ، وتؤكد حجة الذين بيدهم الحق ، ولا يستطيعون رفعها عالية . أما والحمد لله فقد أظهر الله الحق فليس هناك مكان للباطل ، فانتهت الغمة وذهب الكرب ، وعادت أم المؤمنين الى بيتها مرفوعة الرأس ولسانها يلهج بشكر الله وحمده ، وتردد الآيات الكريمة التى حلت مشكلتها وردت اليها كبرياءها ورفعت من كرامتها » .



بدأت حياة جديدة قوامها الرازنة والحكمة ، واستفادت الدعوة الاسلامية من هذه المحنة الكبيرة (وستعرض لهذا عند الكلام على الحكمة من التعدد) ، فراحت تدور فى فلك الدعوة ، تخدم الفكرة ، وتنشر المبادئ التى يدعو اليها الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأراد النبى أن يزيد فى تكريمها فاتخذ رايته الأولى فى غزوة خيبر من بردها — رضى الله عنها — ثم عاشت مع الرسول — صلى الله عليه وسلم — بقية أيامه ، وقد ذهبت أيام المحنة والابتلاء والاختبار ، لتجنى معه ثمار الكفاح الطويل المرير والنصر المؤزر الذى كان يعود به النبى من غزواته والاجتماع بالوفود التى تأتى من جميع أنحاء الجزيرة .



تمت الرسالة ونزل قوله تعالى :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » (١) •

وما زال النبی — صلى الله عليه وسلم — على عهده وفيما لزوجاته يقسم بينهن ويعدل في قسمه • وكان في بيت ميمونة — رضى الله عنها — وقد اشتد به المرض ، واجتمعت الزوجات حوله ، وكان يريد أن يتمرض في بيت عائشة — رضى الله عنها — فنظر اليهن بحياء وأدب كما كان دائما ثم قال متسائلا : « أين أنا غدا •• أين أنا غدا ؟ » •

وأدركن ما وراء هذا السؤال ، انه يريد أن يكون عند عائشة — وقد ثبت أنه في مصلحة الدعوة والمسلمين — فقلن جميعا : « يا رسول الله •• قد وهبنا أيامنا لعائشة » •

وفي بيتها لم يطل به المقام ، زاد عليه المرض ، فأخذته في حجرها فأخذ يثقل فراحت تنظر في وجهه ، فاذا بصره قد شخص وهو يقول : « بل الرفيق الأعلى في الجنة » •

تقول أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — : « وقبض رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بين سحرى ونحرى •• فمن سفهى وحدائة سنى أنه — صلى الله عليه وسلم — قبض

(١) المائدة : ٣ •

وهو في حجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت التدم
مع النساء وأضرب وجهى « (١) » .



تفرغت أم المؤمنين — رضى الله عنها — لتأدية الواجب
عليها نحو الرسالة الخالدة ، وكانت بحرا زاخرا في الدين ،
فقها وتشريعا ، حيثما تسير يسير العلم والفضل والتقوى ،
ويكفيها غفرا أنها حفظت للأمة ثروة ضخمة من سنته — صلى
الله عليه وسلم — قولا وخلقا وسلوكا .

قال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحدا أعلم بفقهه
ولا بطب ولا بشعر من عائشة — رضى الله عنها . .

وروى عن أبى موسى الأشعري — رضى الله عنه — أنه
قال : « ما أشكل علينا أصحاب رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — حديث قط فسألنا عائشة — رضى الله عنها — الا وجدنا
عندها منه علما » .

وقال أبو الضحى عن مسروق : « رأيت مشيخة أصحاب
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الأكابر يسألونها
عن الفرائض » .

وتشهد كتب الحديث بعلمها الغزير وعقلها الكبير ،

(١) جاء هذا في تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٩٧ ، وان كنا
نستو بأم المؤمنين عن مثل هذا الفعل .

فلم يرو في الصحيح عن أحد من الرجال أكثر مما روى عنها
الا شخصان هما أبو هريرة وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما •

قال الزهرى « لو جمع علم عائشة — رضى الله عنها —
الى علم جميع أزواج النبى — صلى الله عليه وسلم — وجميع
النساء ، كان علم عائشة — رضى الله عنها — أكثر » •

ولقد أحببت أن تشترك في الحياة العامة ، ثم اجتهدت
وأفضى بها اجتهداها أن تشترك مع أحد طرفى النزاع بعد
مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان — رضى الله عنه ، لمحاربة
الامام على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — وانتهت بأن أعيدت
الى بيتها مكرمة معززة بعد هزيمة من كان معها ، اكراما للرسول
صلى الله عليه وسلم (١) •



ومن أحسن ما قيل فى وصف أم المؤمنين — رضى
الله عنها — :

« كانت عائشة — رضى الله عنها — جميلة الوجه ، دقيقة
الخلقة ، حسنة التقسيم ، وسيمة الطلعة ، قوية النظرات ، ذات
عينين تدل سيماهما على الرفاهية والركة والنعومة ، عالية
الجبين ، بسامة ، سريعة النطق ، تحسن الاستماع

(١) هذا على فرض صحة الواقعة ، والا فهناك من ينكر وقوع
حادثة الجمل فى بحث مستفيض ليس هذا مجاله .

والاصغاء ، حادة اللسان في غير غلظة ، سريعة الغضب
 أحيانا سريعة الرضا ، دائما تغفر لخصومها الا رأيا واحدا
 لم تغفر لصاحبه (١) . وكانت شديدة الغيرة على رسول
 الله ، ولكنها لا تتحكم فيه ، ولا تتسلط على ارادته ، ولا تسعى
 في تقليل مكانته كما تفعل أى امرأة غيور ، وكانت صائبة
 النظر دائما فيما لا مساس برضاه أو بالحياة العامة ،
 أو بنشر لواء الطمأنينة على بنيه وحياته » .



أما ما روى في صفاتها وكرمها وزهدها وتعبدتها
 واجتهادها وخوفها من الله ومواعظها وكلامها وعلمها وفصاحتها ،
 فشئ كثير .

عن عطاء قال : « بعث اليها معاوية بطوق ذهب فيه جوهر
 قوم بمائة ألف ، فقسمته بين أزواج النبی - صلى الله عليه
 وسلم » .

وعن أم ذرة - وكانت تغشى عائشة - رضى الله عنها -
 قالت : « بعث اليها ابن الزبير بمال في غرارتين - قالت : أراه
 ثمانين ومائة ألف - فدعت بطبق - وهى يومئذ صائمة -

(١) رأى الامام على - كرم الله وجهه - حينما أشار على
 النبی ، صلى الله عليه وسلم ، فى حادثة الافك - ولم تكن قد ظهرت
 براءة عائشة رضى الله عنها - بالآ يشغل باله بها ، وأن يتزوج
 غيرها ان شاء ، والنساء كثيرات . فأغضب هذا عائشة ، وكان
 فى نفسها شئ من كلام على والله اعلم .

فجلست تقسمه بين الناس ، فأمست وما عندها من ذلك درهم •
فلما أمست قالت : يا جارية هلمى فطرى • فجاءتها بخبز وزيت
فقالت لها أم ذرة : أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري
لنا بدرهم لحما نفطر عليه ، فقالت لها : لا تعفينى •• لو كنت
ذكرتنى لفعلت ! •

وعن عروة قال : « لقد رأيت عائشة — رضى الله عنها —
تقسم سبعين ألفا وهى ترقع درعها » ! •



وعن مالك بن الطفيل : أن عائشة — رضى الله عنها —
حدثت أن عبد الله بن الزبير قال فى بيع أو عطاء أعطته عائشة :
والله لتنتهين أو لأحجرن عليها ، فقالت : أهو قال هذا ؟
قالوا : نعم • قالت : هو الله على نذر أن لا أكلم ابن الزبير
أبدا • فاستشفع ابن الزبير اليها حين طالت الهجرة • وكلم
ابن الزبير كثيرا من الصحابة وهى مصرة على رأيها • فلما
أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج ، طفقت تذكر من يتكلم
معهـا وتبكى وتقول : انى نذرت والنذر شديد • فلم يزلوا
بها حتى كلمت ابن الزبير ، وأعتقت فى نذرها ذلك أربعين رقبة ،
وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكى حتى تبلل بدموعها خمارها •

وعن القاسم أن عائشة — رضى الله عنها — كانت كثيرة
الصيام وقال : كنت اذا غدوت أبداً بببيت عائشة أسلم عليها ،
فغدوت يوماً فاذا هى قائمة تسبح وتقرأ :

« فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم » (١) •

وتدعو وتبكي وتردها ، فقامت حتى ملئت القيام فذهبت الى السوق لحاجتي ، ثم رجعت فاذا هي قائمة كما هي تصلى وتبكي •

وروى عنها أنها قالت : « انكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب ، فمن سره أن يسبق الدائب المجتهد فليخف نفسه عن الذنوب » •

* * *

وتقدمت بها السنون ، وبلغت السادسة والسنتين ومرضت أم المؤمنين — رضى الله عنها — يقول ذكوان حاجب عائشة : انه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة — رضى الله عنها — وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن ، فقلت : هذا ابن عباس يستأذن ، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال : هذا ابن عباس فقلت : دعنى من ابن عباس ، فقال لها : يا أماه ان ابن عباس من صالحى بنيك يسلم عليك ويودعك فقلت : ائذن له ان شئت ، فأدخلته ، فلما دخل قال : أبشرى فما بينك وبين أن تلقى محمدا — صلى الله عليه وسلم — — والأحبة الا أن تخرج الروح من الجسد ، كنت أحب نساء رسول الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن رسول الله يحب الا طيبا ، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء ، فأصبح

(١) الطور : ٢٧ •

رسول الله حتى تصبح في المنزل ، وأصبح الناس ليس معهم ماء ،
فأنزل الله عز وجل : « فتيموا صعيدا طيبا » (١) •

فكان هذا من سببك (٢) وما أنزل الله عز وجل لهذه الأمة
من الرخصة ، وأنزل الله عز وجل براءتك من فوق سبع سموات ،
جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من مساجد الله عز
وجل يذكر فيه الله الا تتلى فيه آناء الليل وآناء النهار •
فقلت : دعنى منك يا ابن عباس •• فهو الذى نفسى بيده لوددت
أنى كنت نسيا منسيا •

واستدت العلة على أم المؤمنين — رضى الله عنها — ولبت
نداء ربها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة من رمضان سنة ثمان وخمسين
وهى ابنة ست وستين سنة •

وهرع أهل المدينة الى بيتها وهم يكون حبيبة رسول
الله والقريبة الى قلبه ، ولف الليل المدينة ، وصلى أبو هريرة
على أم المؤمنين — رضى الله عنها — وحمل الناس المشاعل في
موكب يليق بأم المؤمنين — رضى الله عنها — ودموع الناس
لا تنقطع ، ودفنت كما أوصت بالبتيع مع صواحباتها رضى الله
عنهن جميعا •

(١) المائدة : ٦ ، والنساء : ٤٣ •

(٢) فكان ذلك في سبيلك •

السيدة حفصة بنت عمر (رضى الله عنها)

تزوجت حفصة — رضى الله عنها — خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى القرشى ، من المسلمين الأولين ومن الذين هاجروا الى الحبشة ثم الى المدينة تاركا بلده فى سبيل عقيدته وإيمانه •

شهد بدرا وأبلى فيها بلاء حسنا ، ثم جاءت غزوة أحد ، وقاتل فيها قتال الأبطال ، وسجل له التاريخ الاسلامى صفحة خالدة من المجد والبطولة والإيمان ، فكان كلما أصيب بجرح ضمه ، وعاد الى القتال غير مبال بما هو فيه أو عليه القوم ، حتى مزقت أنبسال جسده فخارت قواه ، وخر صريعا ملبيا نداء ربه •

واستشهد وترك حفصة — رضى الله عنها — شابه لم تتجاوز العشرين ، وأهم أمرها والدها عمر بن الخطاب ، وأراد — كما هى العادة عند العرب — أن يفرج كربتتها ، ويختار لها زوجا ، فلقى عثمان رضى الله عنهما فقال : ان شئت أنكحتك حفصة ، قال : سأنظر فى أمرى ، فلبث ليالى ثم قال : قد بدا لى أن لا أتزوج •

ويكمل القصة عمر — رضى الله عنه — فيقول : قلت

الأبى بكر رضى الله عنه : ان ثئت أنكحتك حفصة ، فصمت ، فكنت عليه أوجد منى على عثمان ، فلبث ليالى ، ثم خطبها النبى فأنكحتها اياه ، فإقيني أبو بكر فقال : لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة ، فلم أرجع اليك شيئاً فقلت : نعم ، قال : انه لم يمنعنى أن أرجع اليك الا أنى علمت أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكرها ، فلم أكن لأفشى سره ، ولو تركها لقبقتها •

ثم قال عمر رضى الله عنه : فشكوت عثمان الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال الرسول : يتزوج حفصة خير من عثمان ، ويتزوج عثمان خيراً من حفصة ، فزوجه النبى صلى الله عليه وسلم ابنته رقية •

وكان زواج النبى صلى الله عليه وسلم من حفصة بعد زواجه من عائشة رضى الله عنها سنة ثلاث من الهجرة ، ودخلت بيتاً فيه سودة وعائشة رضى الله عنهما ، وكانت حفصة — رضى الله عنها — بها شدة ، وما نشك أن أباهما نصحها كثيراً ، بل لعله حذرهما حتى لا يقع منها أى شىء يسيء الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولذلك فقد كان يرقب تصرفاتها • قال لها يوماً وقد سمع بشىء بينها وبين عائشة : « أين أنت من عائشة ، وأين أبوك من أبيها » ! •

وسمع يوماً من زوجته — حينما أرادت أن تراجع فى أمر فلم يقبل المراجعة — أن حفصة — رضى الله عنها — تراجع

الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — حتى ليظل يومه غضبان ، فانطلق من فوره ودخل عليها يسألها : هل حقيقة ما سمع من أن حفصة تراجع النبي صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان ، ولما أجابته ابنته ، ثار وغضب وحذر ونهى ، مبديا أسفه على ما تقوم به ابنته ، مبينا مكانة عائشة رضى الله عنها عند الرسول صلى الله عليه وسلم فهي حب الرسول وابنة صاحبه أبى بكر ، وعليها أن تعرف قدرها ومكانتها .

ولكن حفصة — رضى الله عنها — لا تترك ما جبلت عليه من طبيعة ، فقد ذكر صلى الله عليه وسلم أصحابه الذين بايعوه تحت شجرة الرضوان في الحديبية فقال : « لا يدخل النار ، ان شاء الله ، أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها » .

قالت حفصة رضى الله عنها : « بلى يا رسول الله » فانتهرها ، فتلت الآية :

« وان منكم الا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا » (١)

فتلا النبي صلى الله عليه وسلم الآية بعدها :

« ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » (٢)

قد يكون ذلك شيئا هينا ، والرسول صلى الله عليه وسلم يتقبل ما يأتى به زوجاته ، ويعاملهن بما جبل عليه من الخلق

(٢) مريم : ٧٢ .

(١) مريم : ٧١ .

والصبر والحلم والكرم • ولكن اذا كان هناك تماد وخروج
عن الحد المألوف ، وتعريض صاحب الدعوة الى ما قد يسيء
السمعة ، وتلوكة الألسنة ، فان الحزم والعلاج الناجع يكون
الرائد والأصل •

جاءت مارية - رضى الله عنها - الى النبي صلى الله عليه
وسلم الأمر ما فى بيت حفصة رضى الله عنها وكانت غائبة فى
بيت أبيها ابن الخطاب ، فلما عادت حفصة ، وجدت الستر
مسددا ، وعرفت أن مارية بداخل الحجرة وانتظرت حتى
انصرفت مارية ، ودخلت حفصة على النبي باكية مهمومة ولم
تهدا حتى حرم الرسول مارية على نفسه ثم أوصاها بأن
تكتم السر •

ولكن حفصة قصت على عائشة قصة مارية - رضى الله
عنهن - وما كان من أمر التحريم ، ولم يمض وقت طويل حتى
اجتمع نساء النبي متظاهرات ضد مارية ، وأراد النبي أن
يهون من الأمر ويوصيهم بالتعقل وترك ما هن فيه من
ثورة وغضب •

ولكنهن تمادين فيما ذهبن اليه ، فاعتزلهن جميعا ، وأعلن
أنه منقطع عنهن شهرا ، لينصرف الى ما هو أهم وأنفع •
ولعله أراد أن يؤدب من كانت السبب فى ذلك ، فطلق
حفصة تطليقة واحدة •

وغضب عمر رضى الله عنه غضبا شديدا ، لأن ابنته كانت
تسببا في ايداء رسول الله صلى الله عليه وسلم • ويقال ان
عمر رضى الله عنه حثا التراب على رأسه وقال : « ما يعبأ الله
بعمر وابنته بعدها » • فنزل جبريل عليه السلام من الغد على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ان الله يأمرك أن تراجع
حفصة رحمة بعمر » • وفى رواية قوله : « راجع حفصة فانها
صوامه قوامه ، وانها زوجتك فى الجنة » • وما نشك فى أن
حفصة لامت نفسها لوما عنيفا على افشائها سر الرسول صلى
الله عليه وسلم ، الذى استغل أسوأ استغلال ، وراحت تبكى ،
فقد دخل عليها أبوها فوجدوها تنفطر من البكاء فقال لها :
« ان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبدا » (١) •

فراجعها صلى الله عليه وسلم •



لكنه لا يزال معترلا زوجاته ، يأوى الى خزانته ، وخادمه
رباح واقف على الباب يمنع الدخول على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وعمر — رضى الله عنه — من أكثر الصحابة هما
الأن ابنته كانت سببا فى الأحداث التى جرت ، فذهب الى رباح
يطلب الاستئذان من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد
رفع صوته قائلا :

(١) الاصابة ج ٨ ص ٥٢ •

« يا رباح ، استأذن لى عندك على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فانى أظنه ظن أنى جئت من أجل حفصة • والله لئن أمرنى بضرب عنقها لأضربن عنقها » •

وأذن لابن الخطاب رضى الله عنه فى الدخول ، وكان متأثرا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأجال بصره فى الخزانة وبكى •

لقد بكى من أجل الرسول صلى الله عليه وسلم ، الحصور الذى كان مضطجعا عليه قد أثر فى جنبه ، وقبضة الشعير ومثلها من قرظ كانتا كل ما بالخزانة من طعام •

ثم قال ابن الخطاب — رضى الله عنه — :
يا رسول الله •• ما يشق عليك من أمر النساء ؟ ان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك •

وابتسم النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بأنه لم يطلقهن وانما هجرهن شهرا •

ونزل عمر رضى الله عنه فأخبر حشود المسلمين بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يطلق زوجاته • وجاء الرسول عليه الصلاة والسلام من بعده فتلا الآيات التى نزلت :

« يا أيها النبى لم تحرم ما أهل الله لك ، تنبغى مرضات أزواجك ، والله غفور رحيم • قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ،

والله مولاكم ، وهو العليم الحكيم . واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ، قال نبأني الطليم الخبير . ان تتويا الى الله فقد صفت قلوبكما ، وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاہ وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير . عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا « (١) » .



وعت حفصة رضى الله عنها هذا الدرس ، فما تسببت أو اشتركت غيما يغضب زوجها الأمين ، وظلت تواظب على صيامها وقيامها الى أن لحق الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالرفيق الأعلى .

ثم اختيرت من بين أمهات المؤمنين لتحفظ النسخة الخطية للمصحف في بيتها ، وبقي عندها حتى طلبه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فنسخ منه النسخ الأربع ووزعها على الأمصار وأحرق ما عداها .

ولما كان الخلاف بين على — كرم الله وجهه — ومعاوية طلبت منها السيدة عائشة رضى الله عنها الخروج معها في الجيش الذى يطالب بدم عثمان ، وعز عليها أن ترد طلب

(١) التحريم : ١ — ٥ .

عائشة رضى الله عنها وتهايات لمصاحبته ، ولكن أخاها عبد الله
حذرهما من ذلك ♦

فعكفت على قيامها وصيامها تروى أحاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن عمر وعن أخيها عبد الله — رضى الله عنهما — وابنهم حمزة
وزوجته وغيرهم ♦

وظلت كذلك الى أن لبت نداء ربها ولحقت بالرفيق الأعلى ،
رضى الله عنها ، سنة احدى وأربعين — وقيل خمس وأربعين —
ودفنت بالبقيع بالمدينة ♦

* * *

السيدة زينب بنت خزيمة (رضى الله عنها)

هى زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف ،
المؤمنة البارة الصالحة التقية المجاهدة فى سبيل الله ،
كانت زوجة لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، البطل المقدام
الذى جاهد وحارب فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ،
شهد بدرا ، وكان أحد المبارزين الثلاثة : على وحمزة
وعبيدة .

يروى التاريخ أن مبارزة بدر بدأت بين على بن
أبى طالب — كرم الله وجهه — والوليد بن عتبة من قريش ، وبين
حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وشيعة
ابن ربيعة عم الوليد ، فقتل على الوليد ، وقتل حمزة — رضى
الله عنه — مبارزه شيعة بن ربيعة ، وبارز عبدة عتبة بن ربيعة
الا أنهما اختلفا بضربتين كلاهما أثبت صاحبه فرماه ، فكسر
على وحمزة ، بأسيا فهما على عتبة فقتلاه .

واحتملا عبدة الجريح الى النبى صلى الله عليه
وسلم ، فوضع خده على ركبة النبى ، ثم رفع بصره الى

الرسول الأمين لا ليسأله عن أهله وعشيرته وانما
ليقول له :

ألست شهيدا يا رسول الله ؟ فأجاب الرسول صلى الله
عليه وسلم : « أشهد انك شهيد » فلم يلبث أن لحق بالرفيق
الأعلى .



كانت زينب — رضى الله عنها — حين استشهد زوجها
تقوم بواجبها فى اسعاف الجرحى وتضميد جراحهم وسقيهم
الماء ، ولم يشغلها استشهاد زوجها عن القيام بواجبها حتى
كتب الله النصر للمؤمنين فى أول معركة خاضوها مع
المشركين .

وأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يكافئها على
ما قدمت فى سبيل عقيدتها ودينها ، وأن يضمها الى زوجاته
فيكون لها شرف أمومة المؤمنين ، فعقد عليها وقزوجها ، وكان
هذا الزواج عقب زواج النبى صلى الله عليه وسلم من حفصة
رضى الله عنها ، زوجه اياها عمها قبيصة بن عمرو الهلالى ،
وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم .

قالوا عنها : وقد تجاوزت الثلاثين ، ولم تكن ذات
جمال ، وانما عرفت بطيبتها واحسانها ، فلقد كانت تعطف على

الفقراء والمساكين وتحسن اليهم ، فكانت تطعمهم وتتصدق عليهم حتى لقبت بأم المساكين •

عاشت مع الرسول صلى الله عليه وسلم شهورا ، ثم توفيت في ربيع الثانى سنة أربع من الهجرة ، رحمها الله ورضى عنها •



السيدة أم سلمة (رضى الله عنها)

هى هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم القرشية المخزومية . يلقب أبوها بزاد الركب لأنه كان أحد الأجواد ، وكان اذا سافر يكفى رفيقه من الزاد ولا يدع أحدا يرافقه ومعه زاد . وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة . وكان جدها جذيمة بن علقمة يلقب بجذم الطعان .

تزوجت هند - رضى الله عنها - من عبد الله بن عبد الأسد الهلالى من بنى مخزوم ابن عمه النبى صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب ، وأخو النبى من الرضاعة فقد أرضعتها ثويبة مولاة أبى لهب .

كانت هى وزوجها من السابقين فى الاسلام . ولما اشتد بالمسلمين الأذى هاجرت مع زوجها الى الحبشة ، وعلى أرض افريقية ولدت ابنها سلمة فكانا يسكنان به ، وظلاما فى الحبشة ، ثم فكر أبو سلمة فى الرجوع الى مكة ، وفيها وجد المشركين لا يزالون مستمرين فى ايذائهم للمسلمين ، فعزم على الهجرة الى المدينة واستعد للرحيل ، فأعد بعيرا وأركب زوجته وابنه سلمة وقاد البعير . ولكن ما كاد يتابع السير حتى هجم عليه رجال

من بنى المغيرة قوم أم سلمة قائلين : هذه نفسك غلبتنا عليها ،
أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ •

وتعصب جماعة للزوج وجماعة للزوجة ، وانتهى الأمر
بأن أخذ بنو المغيرة هنداً ، وأخذ بنو أسد سلمة بعد أن
خلعوا يده من كثرة التجاذب •

أما أبو سلمة — رضى الله عنه — فقد فر بدينه ليلحق
ببنيه وأخيه وابن خاله •

وتكمل أم سلمة — رضى الله عنها — فتقول : وفرق بينى
وبين زوجى وابنى ، فكنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطح ،
فما أزال أبكى حتى أمسى ، سنة أو قريبا •

حتى مر بى رجل من بنى عمى ، أحد بنى المغيرة ، فرأى
ما بى ، فرحمنى فغمال لبنى المغيرة :
— ألا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها
وبين ابنها •

وما زال بهم حتى قالوا :
— الحقى بزوجك ان شئت •

ورد على بنو أسد عند ذلك ابنى ، فرحلت بعيرى
ووضعت ابنى فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ،
وما معى أحد من خلق الله •

حتى إذا كنت بالتنعيم — على فرسخين من مكة —
لقيت عثمان بن طلحة فقال :

— أين يا بنت أبي أمية ؟

— أريد زوجي بالمدينة .

— هل معك أحد ؟

— لا والله ! لا الله وابنى هذا .

— والله مالك من مترك .

وأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني ، فوالله
ما ^{صحت} صبحت رجلا من العرب أراه أكرم منه : إذا نزل المنزل أناخ
لى ثم تنحى الى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح
قام الى بعيري فقدمه ورحله ، ثم استأخر عني ، وقال :
اركبى . فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه ،
ففاده حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بى المدينة ،
فلما نظر الى قرية بنى عمر بن عوف بقباء — وكان بها منزل
أبى سلمة فى مهاجرة — قال : ان زوجك فى هذه القرية
فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا الى مكة .



اطمأن أبو سلمة على زوجه وولده ، وتفرغ لدوره
القيادى فى سبيل الجهاد ونشر الدعوة ، ولم يركن الى

الدعة والراحة ، بل كان في مقدمة الصفوف يقاثل ويبلو
البلاء الحسن .

شهد بدرا ، وكان أحد الثلاثمائة والأربعة عشر رجلا ،
الذين تم بهم النصر وفضلوا على العالمين واستعمله النبي
— صلى الله عليه وسلم — على المدينة حينما خرج في غزوة
ذي العشيرة في جمادى الأولى من السنة الثانية .

وحضر موقعة أحد ، واستمات في القتال ، وقاثل قتال
المخلصين المستميتين في طلب الاستشهاد حتى أصيب بجرح
قاتل ، ولما عوفي من مرضه ، عقد له النبي — صلى الله عليه
وسلم — لواء لقتال بنى أسد وذلك بعد شهرين من غزوة
أحد ، فقد بلغ الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن بنى
أسد يجمعون الناس لمهاجمة محمد — صلى الله عليه وسلم —
في داره بالمدينة .

كان اللواء مائة وخمسين ، وكان فيهم من كبار الصحابة
سعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح .

قاد اللواء ، وهجم على المتربصين على غرة ، فأصاب
منهم كثيرين ثم رجع الى المدينة سالما غانما ، فأعاد الى
المسلمين بعض ما فقدوه من الهبة في أحد ، وفرح الرسول
صلى الله عليه وسلم كثيرا . ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ،
فلقد كان التثام جرح أبى سلمة الذى أصيب به في أحد

القتلما سظحيا ، ثم نغر وظل به يؤله ، ويتوجع منه الى أن
حان وقت القضاء •

كان النبي — صلى الله عليه وسلم — بجواره ، وهو على
فراش موته ، يدعو له ، ويداوم على زيارته حتى جاء وقت
الاحتضار فأقبل الرسول الأمين — صلى الله عليه وسلم —
يسبل عينيه ويكبر حتى لقي أبو سلمة ربه •

* * *

خلا البيت من أبي سلمة ، وما نسي المسلمون فضله ،
فلما انقضت عدة أم سلمة أسرع كبار الصحابة ليكرموا
أبو سلمة في شخص أم سلمة رضى الله عنها ، فتقدم اليها
أبو بكر الصديق رضى الله عنه خاطبا فرفضت ، وتلاه عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فاعتذرت في رفق •

وبعث الرسول الأمين — صلى الله عليه وسلم — من
يخطبها له ، فأرسلت تعتذر وتقول :

اننى غيرى مسنة ذات عيال وليس أحد من أوليائى حاضرا •
فأرسل لها النبي صلى الله عليه وسلم من يقول لها : أما الغيرة
فيذهبها الله عنك ، وأما انك مسنة فأنا أكبر منك وستكفين
صبيانك ، وليس أحد من أوليائك يكره ذلك ، فقالت لابنها :
قم فزوج رسول الله ، فزوجه • فقال رسول الله — صلى
الله عليه وسلم — : « أما انى لم أنقص مما أعطيت فلانة » •

روى ثابت أنه قال لابن أم سلمة : ما أعطى فلانة ؟ قال : أعطاهما جرتين تضع فيهما حاجتهما ورحى ووسادة من آدم حشوها ليف •



انتقلت أم سلمة — رضى الله عنها — الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، واثقة من نفسها ، متخذة لها مكانة سامية ، فلقد شرفت بالزواج من الرسول — صلى الله عليه وسلم — ومن حقها أن تدافع عن نفسها ان شأنت ، وأن توقف من يريد أن يتدخل بين النبى — صلى الله عليه وسلم — وزوجاته عند حده •

ولعل أول من قابلها من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم غيرة عائشة الصغيرة الجميلة ، تقول عائشة رضى الله عنها :

« لما تزوج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أم سلمة ، حزنت حزنا شديدا ، لما ذكر لنا من جمالها ، فتلطفت حتى رأيته ، فرأيت والله أضعاف ما وصفت به ، فذكرت ذلك لحفصة فقالت : ما هى كما يقال ، وذكرت سنها ••
« فرأيتها بعد ذلك فكانت كما قالت حفصة ، ولكنى كنت غيرى » ! •

ولعل أقارب أم سلمة رأوا اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم وحبها لها ، فأحبوا أن تتفرغ له ، وهذا ما دعا عمار بن

ياسر ، أخو أم سلمة من الرضاعة ، أن يأخذ زينب ابنتها قائلاً لها : دعيها فقد آذيت بها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولكن محمداً — صلى الله عليه وسلم — أبا الإنسانية كثيراً ما كان يسأل أم سلمة عن أطفالها وبخاصة زينب ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « أين زنا ب ؟ » •

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم انصرف بعد زواجه ، ثم أقبل بابنها ، فلما رآته وضعته في حجرها فلما رآها انصرف ، وأقبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بابتنتها فوضعتها في حجرها ، وأقبل عمار مسرعاً بين يدي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فانتزعها من حجرها وقال : هاتي هذه المشقوقة (١) التي منعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حاجته • فجاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلم يرها في حجرها قال : أين زنا ب ؟ قالت : أخذها عمار — فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله •

وزينب هذه ، التي كان يدللها أبو الإنسانية ، ثبتت في رعاية النبي ، فكانت — كما قالوا — من أفقه نساء أهل زمانها • ويروى أنها دخلت على النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو يغتسل فنضج في وجهها ، فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعجزت •

(١) الزاهية .

ولعل من الوفاء لأبى سلمة أن اختار النبي سلمة زوجا لابنة عمه سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه •
 وبلغ من اعتزاز أم سلمة رضى الله عنها بنفسها ،
 كزوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أنكرت على عمر
 رضى الله عنه ، حينما تكلم فى مراجعة أمهات المؤمنين للرسول
 صلى الله عليه وسلم ، فقالت :
 « عجباً لك يا ابن الخطاب ، قد دخلت فى كل شيء حتى
 تبتغى أن تدخل بين رسول الله وأزواجه » •

وفى بيتها كان ينزل الوحي ، وربما كانت عائشة — رضى
 الله عنها — تتفخر بذلك ، فقد نزل قوله تعالى :

« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
 تطهرا » (١) •

وقوله تعالى :

« وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر
 سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ، ان الله غفور رحيم » (٢) •

وقد نزلت هذه الآية فى أبى لبانة بن عبد المنذر الذى
 خالف أمرا لرسول الله ، ثم ندم وربط نفسه بسارية المسجد ،
 وقال : « لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على ما صنعت » •

(١) الاحزاب : ٣٣ . (٢) التوبة : ١٠٢ .

ونزلت آية توبة أبي لبانة والنبي صلى الله عليه وسلم —
في بيت أم سلمة — رضى الله عنها — فقالت : « وقد سمعته
يضحك » فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : مم تضحك
يا رسول الله ، أضحك الله منك ؟

قال : تيب على أبي لبانة .

قالت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟

فقال : بلى ان شئت .

فقامت على باب حجرتها قائلة : يا أبا لبانة أبشر ، فقد
تاب الله عليك .



كانت تشير على النبي صلى الله عليه وسلم بالرأى ،
فيأخذ به ، وربما كان رأيا صائبا ، ولا ننسى موقفها في الحديبية ،
وقد تمت الاتفاقية بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل مكة ،
وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف فيه
شئ من المغالاة ، فقد استاءوا من الكيفية التي تم بها صلح
الحديبية والعقد الذي وافق الرسول صلى الله عليه وسلم
عليه مع المشركين ، وكان مما فيه أن يرجع المسلمون الى
المدينة هذا العام دون أن يدخلوا مكة معتمرين وهم على
أبوابها ، وأن تكون بين الفريقين المسلمين ، وأهل مكة المشركين

هدنة عشر سنوات من غير قتال ، وأن يرد الرسول — صلى الله عليه وسلم — من يجيء مسلما الى مكة ولا يرد أهل مكة من جاءهم مرتدا عن الاسلام .

وغاب عن المسلمين بعد نظر القائد الأعظم — صلى الله عليه وسلم — فيما ذهب اليه ، فمحمد — صلى الله عليه وسلم — الخارج وحده ليلا من بلده يعود بعد سنوات فتفاوضه مكة ، والمفاوضة دليل ضعفهم وشروطها قوة للمسلمين اذا ناقشها الناقدون ، فلقد فوت الرسول — صلى الله عليه وسلم — على الكفار اراقة الدماء ، وكان عليه الصلاة والسلام يكره الحرب ، فليرجع هذا العام من غير عمرة وليأت العام القادم معتمرا ، ولتكن هدنة وأهل مكة لا يوفون بعهد وسينقضونها قريبا ، وفعلا قد نقضوا العهد واعتدوا على حلفاء المسلمين . أما أن يرد النبي — صلى الله عليه وسلم — من جاءه من أهل مكة مسلما فاذا رده الى أهله بمكة ، وكان صادق الايمان ، فإنه سيكون داعية للاسلام في قلب مكة ومبعوثا لنشر الدين ، ومن فر من المدينة مرتدا فلا خير فيه . على أنه لم يثبت أن ارتد مسلم عن دينه وذهب الى مكة ، ولكن ذلك غاب عن الصحابة فغضبوا ، ولم يرضوا عن هذه الشروط ، ومضى عمر رضي الله عنه الى رسول الله فسأله :

أأست برسول الله ؟

أولسنا بالمسلمين ؟

أوليسوا بالمشركين ؟

والرسول يجيب ببلى •

ثم قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فعلام نعطي
الدنية في ديننا !

فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا عبد الله ورسوله ،
ولن أخالف أمره ، ولن يضيعنى » •

ثم أمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — أصحابه أن
يقوموا ، فينحروا ثم يحلقوا — وكررها ثلاثا — فتكاسلوا
وتباطأوا • فدخل على أم سلمة رضى الله عنها حزينا ، ثم ذكر
لها ما لقي من الناس فقالت :

« يا نبي الله .. أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم
كلمة ، حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك » •

وعمل الرسول الأمين — صلى الله عليه وسلم — بما أشارت ،
فلما رأوا قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد
بعضهم يقتل بعضا غما وكمدأ وندما •

ثم أدرك المسلمون ما غاب عنهم من حكمة هذا الصلح ،
فقد دخل بعد هذا الصلح أناس كثيرون لا يحصى عددهم ،

وصحبت أم سلمة — رضى الله عنها — الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى غزوة خيبر. وفى فتح مكة ثم فى حصار الطائف وغزوة هوازن وثقيف •

وعندما عادت الى المدينة اشتركت فى مظاهرة الزوجات ضد مارية رضى الله عنها فانتهت باعتزال النبى صلى الله عليه وسلم شهرا ، ثم رضى النبى صلى الله عليه وسلم عنهن فعاد اليهن الهدوء والطمأنينة ، وتفرغن لما يرضى الله ورسوله ، وظللن كذلك الى أن نزل به صلى الله عليه وسلم المرض ، وأذنت أم سلمة رضى الله عنها وكذلك سائر أزواجه أن يتمرض الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فى بيت بنت حبيبه أبى بكر — رضى الله عنهما — لمصلحة هذه الدعوة المباركة وقد كان •

ثم لحق النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، وأرادت أم سلمة رضى الله عنها أن تتجنب الاشتراك بأى صفة من الصفات فى الخلافات ، الا أنها لا شعوريا وجدت نفسها تتأزر ابن عم رسول الله على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — وقدمت اليه ابنها قائلة :

« يا أمير المؤمنين ، لولا أن أعصى الله عز وجل وأنت لا تقبله منى لخرجت معك ، وهذا ابنى عمر ، والله لهو أعز على من نفسى ، يخرج معك فيشهد مشاهدك » •

وتقدمت السنون بأم سلمة — رضى الله عنها — وفتن
الأمويين تجتاح البسلاد ، حتى وصلت المدينة واختارها الله
لجواره ، فكانت آخر من مات من نساء النبي — صلى الله
عليه وسلم — وهى ابنة أربع وثمانين سنة رضى الله عنها ،
وصلى عليها أبو هريرة صاحب رسول الله وراوى أحاديثه ،
ودفنت بالقيع سنة ثلاث وستين من الهجرة •



السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية

(رضى الله عنها)

كان اسمها « برة » احدى الأخوات الأربع اللائى وصفهن
النبي صلى الله عليه وسلم بالايمان فقال فيهن : « الأخوات
المؤمنات » •

شقيقتها الأولى هى أم الفضل « لبانة » الكبرى بنت
الحارث زوج العباس بن عبد المطلب ، وقد أسلمت بعد خديجة
رضى الله عنها ، وأختان من أمها « سلمى بنت عمس » زوجة
حمزة بن أبى طالب رضى الله عنه ، و « أسماء بنت عميس »
زوجة جعفر بن أبى طالب •

من بيت يميل الى الزواج منه سادة القوم ، والبيت الذى
يميل اليه السادة تمتاز المرأة فيه بالذكاء والشجاعة والارادة
القوية والثقة والمحافظة ، ولا ينسى التاريخ موقف أخت برة
أم الفضل ، فلقد دخل أبو لهب بيت أخيه العباس ، واحتمل
مولاه « أبا رافع » فغضب به الأرض ، ثم برك عليه يضربه
لأنه أسلم ، فعمدت أم الفضل رضى الله عنها الى عمود قريب

فأهوت به على رأس أبي لهب ، فشجته شجة منكرة ، وهى
تقول : « استضعفته أن غاب عنك سيده » ، فقام موليا ذليلا ،
فما عاش الا بضع ليال حتى رماه الله بداء قتله •

تزوجت « برة » من أبى رقيم بن رهم بن عبد العزى ،
ثم مات وتركها أرملة ، وظلت فى بيتها الى أن قرب مرور عام
على صلح الحديبية ، واستعد الرسول صلى الله عليه وسلم
وأصحابه للعودة الى مكة — تنفيذًا لشرط أخذ على محمد
— صلى الله عليه وسلم — ليقيم بها ثلاثة أيام ، وقد خففوا من
أسلحتهم ووضعت السيوف فى أعمادها •

واستعد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه لدخول
مكة فرحين مستبشرين تتقدمهم القصواء ، وقد أخذ عبد الله بن
رواحة بخطامها يحدو بصوته الجميل :

خلوا بنى الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير فى رسوله

يا رب انى مؤمن بقبيله

أعرف حق الله فى قبوله

وأصوات الملبين ترتفع الى عنان السماء ، فتمترج
بالدعاء والتكبير والهتاف والتسبيح ، مرددين صدق ما وعد
الله به وأن النصر العظيم سيأتى عما قريب :

« لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ،
وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » •

مشهد مهيب لم تره مكة من قبل ، ارتفعت فيه راية
الاسلام ، وكادت الأرض أن تميد بالمعاندين والمشركين •

والحبيب محمد — صلى الله عليه وسلم — موزع بين التكبير
والشكر والحمد والدعاء ، فهل في قلبه مكان للتفكير في زواج ؟ !
انه يفكر فيما هو أكبر وأعظم •

ولكن المقادير التي تحصى كل شيء ، كل صغيرة وكبيرة ،
كانت ترقب قلبا صغيرا يشارك المسلمين فرحتهم وانتصارهم ،
ثم يرجع فينتساءل : ما على محمد — صلى الله عليه وسلم —
لو تزوج « برة » ؟ وهل يرضى ؟ وهل في قلبه موضع للتفكير
الآن ؟ ثم ترجع الى نفسها صامتة •

هذا القلب كان قلب « برة » — رضى الله عنها — لقد
جمعت كل شجاعتها واقتربت من الرسول الأمين — صلى الله
عليه وسلم — ولم تقل اننى أريد الزواج منك يا رسول الله ،
وانما قالت له : « لقد وهبت نفسى لك » وكأن النبى — صلى الله
عليه وسلم — تردد ، فالمقام ليس مقام القبول الآن ، فاذا
بالسماء ترد وتحسم الأمر ، وتطلب من محمد — صلى الله عليه
وسلم — أن يقبل الهبة :

« وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » (١) •

واستجاب النبي — صلى الله عليه وسلم — وكانت فرحة النبي لموافقة ربه سبحانه وتعالى أكبر من كل فرحة ، ولكن الوقت الذي ضربته قريش ووافق عليه محمد — صلى الله عليه وسلم — قد قارب على النهاية •

فأتاه حويطب بن عبد العزى في نفر من قريش في اليوم الثالث ، فقالوا له « انه قد انقضى أجلك فاخرج عنا » •

فقال لهم الرسول الوفى المسالم — صلى الله عليه وسلم — : « ما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم فصنعت لكم طعاما فحضرتموه » •

ولكنهم أجابوا حاقدين حاسدين : « لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا » •

فنزل النبي الأمين — صلى الله عليه وسلم — على ارادتهم ، وأذن في المسلمين بالرحيل ، وقد ترك مولاه أبا رافع بمكة ، ليلحق به في صحبة « برة » •

وفى « سرف » تولى العقد عنها العباس عم النبي صلى

(١) الأحزاب : ٥٠ •

الله عليه وسلم ، فلقد كان يتولى أمرها ، وبني بها الرسول
هناك ، وسماها ميمونة ، ثم انصرف بها راجعا الى المدينة •

عاشت مع زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، شاكراً
الله على ما أولاهها من نعمة الاسلام ، وعلى أن شرفها بالزواج
من رسوله •

أسهمت في الجهاد في سبيل الله ، فألفت فرقة نسائية
للاسعاف والقيام بالواجب نحو الجرحى والمصابين ، ولقد
أصيبت في أثناء أدائها لواجبها في الميدان بسهم من سهام
الأعداء وهي تحمل الماء للمصابين فكاد يقتلها لولا عناية الله
ولطفه •

وفي غزوة تبوك أبدت نشاطا كبيرا مع المجاهدين : تسعف
الجرحى ، وتواسى المرضى ، وتجاهد في سبيل الله حق جهاده •
وبجانب هذا كله كانت — رضى الله عنها — زاهدة عابدة
كثيرة الحب والاخلاص للرسول صلى الله عليه وسلم •

كان صلى الله عليه وسلم في بيتها حينما اشتد به الألم
في مرضه الأخير ، وعرفت رغبة النبي في أن ينتقل الى بيت
عائشة — رضى الله عنها — فرضيت أن ينتقل حيث يحب •

ولما انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى
عاشت في ذكرى حياتها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ،

وتذكر اليوم الميمون الذي جمعها بالرسول عليه الصلاة والسلام .

كان بينها مصدر اشعاع للمسلمين ، فقد حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروت عنه ستة وسبعين حديثا ، وروى عنها ابن أختها عبد الله بن العباس وابن أختها يزيد بن شداد ، وعبد الرحمن المسائب ، ومولاتها ندبة ، ومولاها عطاء وغيرهم .

توفيت — رضى الله عنها — بعد منتصف القرن الأول للهجرة ، وقدر الله أن يكون موت ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها حيث بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقق لها ما كانت تتمناه .

ويكفيينا في هذا المقام ما رواه يزيد بن الأصم قال : « تلقيت عائشة — رضى الله عنها — من مكة ، أنا وابن لطلحة من أختها ، وقد كنا وقفنا على حائط من حيطان المدينة فأصبنا منه .. فأقبلت عائشة على ابن أختها تلومه ، ثم أقبلت على فوعظتني موعظة بليغة . ثم قالت : أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك في بيت ميمونة بيت من بيوت نبيه ؟ ذهبت والله ميمونة ورمى بحبك على غاربك . أما وإنها كانت والله من أتقانا لله وأوصلنا للرحم » .

رحمها الله ورضى عنها .

السيدة أم حبيبة (رضى الله عنها)

رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب القرشى الأموى
زعيم مكة وقائد المشركين • أمها صفية بنت العاص وأخت
معاوية بن أبى سفيان • تزوجها عبيد الله بن جحش الأسدى
ابن عمه رسول الله وأخو زينب بنت جحش أم المؤمنين
رضى الله عنها •

وحينما أسلم عبيد الله بمكة أسلمت معه رملة — رضى الله
عنها — ولما عزم زوجها على الهجرة الى الحبشة فرت بدينها
معه رغم ثقلها بمن فى بطنها ، الا أنها خافت الفتنة وبطش الأب
الذى جن جنونه لاتباعها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم •

أمنت رملة — رضى الله عنها — على دينها وعبادة ربها ،
ثم وضعت طفلتها « حبيبة » بنت عبيد الله التى تكنت بها فكانت
تنادى « أم حبيبة » •

ولكن عبيد الله ارتد عن دينه الذى خرج من أجله وترك
بلده وأهله وأغراه شرب الخمر ، فأغرق فيه ، وحاول أن يجر

رملة - رضى الله عنها - معه الى النصرانية ، ولكنها أبت راضية بعقيدتها الدينية واسلامها صابرة على قضاء الله .

فهل تفكر فى الرجوع الى مكة ؟ كلا .. فما زال أبو سفيان يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه ، ورجوعها ربما يكلفها الكثير فلتصبر ولتتمسك بعقيدتها ولتبق فى أرض الحبشة مخلصه حتى يأتى وعد الله .

وجاءت الأنباء الى المدينة تحمل أخبار أم حبيبة رضى الله عنها وموقفها من زوجها وثباتها على الحق ، ثم موته على رده ونصرانيته وبقائها وحيدة شريفة غريبة لا تدرى ماذا تصنع تاركة أمرها الى الله ، وتحركت الأريحية الحمدية لتأسو جراحها وتخفف من آلامها وتكافئها مكافأة لم تخطر لها على بال .

ولندع أم حبيبة رضى الله عنها تروى قصتها فتقول :

« ما شعرت وأنا بأرض الحبشة الا برسول النجاشي ، جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه ، فاستأذنت على فأذنت لها ، فقالت ، ان الملك يقول لك : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى أن أزوجه ، فقلت : بشرك الله بالخير .. »

« وقالت : يقول لك الملك : وكلى من يزوجه - فأرسلت الى خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه فوكلته ، وأعطيت

أبرهة سوارين من فضة وخدمتين^(١) من فضة كانتا على وختا تيم
من فضة في كل أصابع رجلى سرورا بما بشرتني به • •
« فلما أن كان من العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا ، وخطب
النجاشي وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار ،
وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأنه الذي
بشر به عيسى بن مريم •

« أما بعد • • فان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب أن
أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت الى ما دعا اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصدقها أربعمئة دينار •
ثم سكب الدنانير بين يدي القوم •
فتكلم خالد بن سعيد فقال :

« الحمد لله أحمدوه وأستغفروه ، وأشهد أن لا اله الا الله
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون • •

« أما بعد • • فقد أجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم • ودفع النجاشي الدنانير
الى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا فقال :

(١) خلخالين •

اجلسوا فان من سنة الأنبياء اذا تزوجوا أن يؤكل طعام على الترويح ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا » •



لفتة كريمة من رسول الانسانية توج بها مسلمة هجرت كل شيء ، الوطن والأب ، والنسب والشرف الجاهلي ، والزوج في سبيل عقيدتها ومبدأها ، ثم ما كان يضير الرسول لو زوجها لرجل من المهاجرين معها في الحبشة أو طلب ارسالها اليه ، لكنه أرسل الى النجاشي أن يتولى العقد عليها حتى يبعث اليها الأمن والطمأنينة ويكافئها فيجعلها زوجا له وأما للمؤمنين •

لقد أكرمها النجاشي ، ولطف بها ، وأحسن اليها وأصدقها عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة وسفرها مع شرحبيل بن حسنة معززة مكرمة •

عادت الى المدينة ، واحتفلت دار الهجرة ببنت أبي سفيان ، وأولم عثمان بن عفان ، ونحرت الذبائح وعمت الفرحة المسلمين •



خفف هذا الزواج من عداوة بني أمية ، وسرت الهمسات بين أهل مكة ، وما كان لأبي سفيان وقد تزوج ابنته محمد — صلى الله عليه وسلم — الا أن يقول حينما بلغه النبأ :

« هذا الفصل لا يجده أنفه » فلم ينكر على النبي صلى الله عليه وسلم قوته وشجاعته وقيادته .

ثم نقضت قريش العهد الذي اصطلحوا عليه في الحديبية ، وبلغهم غضب محمد - صلى الله عليه وسلم - الشديد لما قاموا به ، واستولى عليهم الرعب والفرع ، وما عاد يستهان بقوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وسلطانه ، واجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في الأمر ، واستقر رأيهم على أن يوفدوا رسولا للتفاوض مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في مد أجل الهدنة عشر سنوات ، واختاروا أبا سفيان والد أم حبيبة وزعيم القوم ، فأتى المدينة مكرها ، وما كان له أن يخالف قومه ، وخف الى بيت ابنته التي فوجئت به ، والذي لم تره منذ هاجرت الى الحبشة ، فقابلته بادية الحيرة والدهشة ، لا تدري ماذا تفعل أو تقول .

ولكن أبا سفيان قطع عليها بجلوسه ما تعانیه ، فلما حاول الجلوس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسرع فاختطفته وطوته فقال الأب لابنته : « أطويته يا بنية رغبة بى عن الفراش ، أم رغبة بالفراش عنى ؟ ! » .

فأجابته رضى الله عنها : « هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك فلم أحب أن تجلس عليه » . فانصرف مغضبا وهو يقول : « لقد أصابك يا بنية بعدى شر » .

فقالت : « لا والله بل خير » •

لقد ظهر ايثارها الواضح لزوجها وايمانها وعقيدتها هذا الايثار الذى لم تبد فيه ولو كلمة مجاملة لأبيها ، فلم تشغل بالها بأمره ولم تهتم به ، ثم انصرف أبو سفيان ولم يرد عليه أحد بشيء حتى الرسول صلى الله عليه وسلم •

ناصبت قومها العداء ، وتبرأت من علمهم وعقيدتهم ، الا أنها كانت تنتظر آملة أن يرجعوا عن غيهم فيدخلوا في حظيرة الاسلام ، حتى يمكن أن يتصل الحبل الذى يجمعهم على الهدى والرشاد ويضم شملهم على الحب والمودة فى الدنيا والآخرة •

وتمر الأحداث سريعا ، ويجمع الرسول — صلى الله عليه — جيشا جرارا قوامه عشرة آلاف مسلم ، وتتحقق المعجزة ، فمحمد — صلى الله عليه وسلم — الذى خرج وحده مطاردا من بلده ، يعود اليها وقد ثبتت العقيدة ، وقوى الايمان • ووقفت أم حبيبة رضى الله عنها تدعو للمسلمين وللرسول بالنصر على دولة الكفر والطغيان ، وتتمنى أن ترى أهلها مؤمنين بما جاء به رسول الانسانية •

وراحت تنتظر أخبار الفتح ، وموقف أبى سفيان ، وما كان أشد فرحتها حينما نقلت اليها الأخبار عفو الرسول

صلى الله عليه وسلم عن أبيها ، ثم ما أضفاه على بيته من
آمن وطمانينة •

« •• من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق
بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن » •

شرف عظيم لا يناله الا المؤمنون ، ومما لا شك فيه أن
بيت أبيها قد دخله نور الاسلام •

حمدت الله وشكرته وأثنت على الرسول — صلى الله
عليه وسلم — بما هو أهله ، فهو الكريم الحليم ، الصابر
المحتسب ، الذى عفا عن قومها ، فوصل ما انقطع وأصلح
ما أفسده العتو والطفيان ، واطمأن قلبها الى أنها فى الجنة
ستكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم مع أبيها
وأما وأهلها •

ظلت فى بيت النبوة ، سعيدة فى كنف الرسول صلى
الله عليه وسلم ، محل احترام من زوجات الرسول ، لما امتازت
به من راحة العقل ، وحسن التصرف ، والبعد عن الهوى ،
وشكر الرسول على ما قدم لها ، وعبادة الله والتقرب اليه
الى أن تقدمت بها السنون ، وجاء وقت الرحيل وترك
الدنيا الفانية ، فأحبت أن تتخلص مما قد يظن فيه شيء
من العقاب • •

فدعت اليها عائشة رضى الله عنها وقالت :

« قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ، فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك » •

فاستغفرت لها ، وعفت عما سلف وهمست قائلة :
« سررتنى سرى الله » وفعلت مثل ذلك مع أم سلمة بنت أمية رضى الله عنها •

فهدأت نفسها ، وصفت سريرتها ، واستعدت للقاء الله راضية مرضية •

فرحت بقاء الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى الآخرة وفاضت روحها الطاهرة ، وسجى جسدها فى ثرى البقيع بالمدينة على مقربة من المسجد النبوى سنة أربع وأربعين من الهجرة فى خلافة أخيها معاوية رضى الله عنهما •

السيدة زينب بنت جحش (رضى الله عنها)

لا يتدخل القرآن الكريم في أمر إلا اذا كان بالغ الأهمية ، والقرآن كان أكثر تدخلا في زواج زينب بنت جحش رضى الله عنها ، وربما كانت أكثر الزيجات التي تعرض لها القرآن لخطورتها البالغة ، وما صادفها من ظروف خاصة . وما أثارت من شبهة وخلاف قضى عليهما الوحي المنزل .

ولما كان زيد بن حارثة بطلا من أبطال هذا الزواج وعنصرا أساسيا فيه ، فسوف نتناوله بشيء من التفصيل .

كان زيد بن حارثة هذا عبداً لحكيم بن حزام ابن أخى خديجة زوج محمد صلى الله عليه وسلم ، أخذته خديجة رضى الله عنها من ابن أخيها ووهبته لمحمد .

وتعلق زيد بسيدته حتى أنه أبى أن يذهب مع أبيه حارثة ، وفضل أن يكون عبداً لمحمد - صلى الله عليه وسلم - على أبيه وأمه . فأخذ محمد - صلى الله عليه وسلم - بيده وأشهد القوم في مكة على أن زيدا هذا ابنه بالتبني وصار ينادى زيد بن محمد .

ولما جاء الاسلام أسلم زيد بعد على بن أبى طالب ،
 كرم الله وجهه وهاجر الى المدينة وأخى الرسول صلى الله
 عليه وسلم بينه وبين عمه حمزة رضى الله عنه ، ثم اختار له
 الرسول صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ابنة عمته
 أميمة بنت عبد المطلب ، وكانت جميلة معترّة بنسبها ، قالوا :
 كانت بيضاء سمينة من أتم نساء قريش .

وقد صارت زوجة لزيد استجابة لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم وتنفيذا لما جاء به القرآن الكريم ، فقد نزل
 فيها قول الله تعالى :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن
 يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
 ضلالا مبينا » (١)

الا أنها كرهت هذا الزواج ، وحاولت أن تضغط على قلبها
 ليميل الى زيد فلم تطاوعها نفسها ، ولم تستسغ معاشرته
 والحياة معه للفارق الكبير ، فواجبها أن تحترمه وتقدره كمسلم
 وليس في استطاعتها أن تتقبله ولا أن تعاشره ، لكنها بقبولها
 حطمت مبدأ العصبية القبلية والشرف الجاهلى ، فقد جعل
 الاسلام الشرف فى الدين والتقوى . أما سوء العشرة بين زينب
 — رضى الله عنها — وزيد فمرده الى الاختلاف الاجتماعى ،

(١) الاحزاب : ٣٦ .

وهذا ما أوصى التشريع الاسلامي بملاحظته عند الزواج ،
والحكمة ما زوجها النبي صلى الله عليه وسلم وأصبحت الحياة
بينهما شبه مستحيلة ، وليس أمامهما الا الفراق •

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يدوم
هذا الزواج ، فكثيرا ما شكا اليه زيد سوء معاملة زينب له ،
والرسول صلى الله عليه وسلم يطلب اليه مزيدا من الاحتمال
ويأمره أن يمسك عليه زوجته •

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف زينب — رضى الله
عنها — جيدا من صغرها ، فقد نشأت معه فهي ابنة عمته ، وقد
زوجها ابنه بالتبني . ولو أراد أن يزوجه لغير زيد لزوجها
ولكن حياة الرسول مع التشريع ، وان كان الله سبحانه وتعالى
يقول في حقه عليه الصلاة والسلام :

« وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى » (١) •

فهل كانت فعالة الا كذلك ؟ حقا ان أعمال الرسول والنبي
محمد صلى الله عليه وسلم لكذلك ، فلم يكن عليه الصلاة
والسلام حرا . طليقا بل كان مرتبطا برب السماء والارتباط
برب السماء يوجب الخضوع والسير فيما يأمر به •

لقد صمم زيد على طلاق زينب رضى الله عنها ، فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) النجم : ٣ ، ٤ •

• « أمسك عليك زوجك واتق الله » (١) •

ولكن زينب رضى الله عنها هجرته ولم يكن هناك من مخرج
الا بالطلاق ، لقد أنهى زيد ما بينه وبين زينب •

فهل أشفق الرسول صلى الله عليه وسلم عليها لأنه
أكرهها على الزواج ، فأراد أن يطيب خاطرها بزواج موفق ؟
وهل له أن يتزوجها ؟ وكيف يكون ذلك وقد أعلن من قبل أن
زيدا ابنه ؟ وكيف يواجه الناس ؟ بل وكيف يتركها تقاسى متاعب
الحياة وحدها ؟

نعتقد أن مثل هذا دار بخالد النبى صلى الله عليه وسلم
اذ صدقته الأحداث التى حصلت بعد •

وكان الوحي قد قطع عليه ما يجول بخاطره ، ليضعه أمام
تشريع جديد يلغى فيه التبنى ، ويؤكد ذلك عمليا فيلحقه بأبيه
الذى أنجبه •

فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتحدث
بجواز زواج زوجة الابن المتبنى وبالغاء نسب المتبنى مع عائشة
اذ أخذته غشية الوحي ، ثم سرى عنه وهو يبتسم ويقول :
« من يذهب الى زينب يبشرها بأن الله زوجنيها » •

ثم تلا ما نزل عليه من الوحي :

(١) الأحزاب : ٣٧ •

« واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا » (١) .

وتلا قوله تعالى في الغاء التبني ، فصار يدعى زيد بن حارثة بدل زيد بن محمد « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله عفورا رحيمًا » (٢) .

ولكن بعض المستشرقين المغرضين اتخذوا من هذه القصة مادة يحاولون فيها النيل من نبينا صلى الله عليه وسلم ، فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب زينب رضى الله عنها وأنه طلقها من زيد لينتزوجها ، وبئس ما زعموا ، وهم الذين ينتهزون أى فرصة رواها مؤرخونا عن طريق مشكوك فيه أو رواها بحسن نية ، وتناقضوها في كتبهم ، فأدخلوا عليها من الاسرائيليات ما به يحاولون النيل من الاسلام .

(١) الأحزاب : ٣٧ . (٢) الأحزاب : ٤ ، ٥

ونحن بدورنا نذكر القصة التي رواها الطبري
وتناقلتها بعض الكتب الحديثة . فقد روى الطبري القصة
في تاريخه ، فقال بسند يرفعه الى محمد بن يحيى بن حيان
والى غيره :

« ان الرسول — صلى الله عليه وسلم — جاء يطلب زيدا
وعلى باب زينب — رضى الله عنها — ستر من شعر ، فرفعت الريح
الستر فانكشف عنها وهى فى حجرتها حاسرة ، فوقع اعجابها
فى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم .

ودعته الى الدخول فأبى وولى — عليه الصلاة والسلام —
وهو يهمهم بكلمات ميزت فيها زينب قوله « سبحان الله العظيم ،
سبحان الله مصرف القلوب » .

وأقامت زينب — رضى الله عنها — فى مكانها تفكر فيما
سمعت من قول ابن خالها حتى جاء زيد ، فكان أول ما لقيته به
أن الرسول أتى منزله .

سألها زيد : « ألا قلت له ادخل ؟ » .

فأجابت : « بلى ، قد عرضت عليه ذلك فأبى » .

واستطرد زيد مستفسرا : فسمعتة يقول شيئا ؟

قالت : سمعتة يقول حين ولى : « سبحان الله العظيم ،

سبحان الله مصرف القلوب » .

فأطرق زيد برهة ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« يا رسول الله بلغنى أنك جئت منزلى ، فهلا دخلت بأبى أنت وأمى » .

ثم أضاف متسائلا : أفأفارقها ؟

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ أراك منها شيء ؟

فأجاب زيد : لا والله يا رسول الله ما رابنى منها شيء ولا رأيت الا خيرا ، ولكنها تتعظم على اشرفها ، وان فيها كبرا تؤذيني بلسانها .

قال المصطفى عليه الصلاة والسلام : « أمسك عليك زوجك » .

وأذن زيد وعاد ليحرب الاحتمال من جديد ، ويكابد مزيدا من الشقاء .

لكن زينب رضى الله عنها هجرته ، فما استطاع اليها سبيلا بعد ذلك اليوم حتى نفذ احتماله ففارقها ، وكان الطلاق .

هذه هي القصة رواها مؤرخ مسلم بحسن نية (١) .

(١) كذب بعض الناس فانشأوا احاديث ليرغبوا الناس في قراء القرآن وفي العبادات ، وبئس ما فعلوا . وكذلك وصفوه =

يرى فيها القارئ العمل والصنعة المفتعلة لتكون قصة مشوقة ، تصرف في كتابتها بصورة لا تليق بسيد المرسلين ، وأدخل عليها من الخيال المزائف ما ننزه عنه الأسماع والأفئدة .

فمؤلف الرواية جعل الريح تتحرك حينما وقف الرسول صلى الله عليه وسلم أمام الباب ليرى من بداخل الحجرة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، والذي كان أشد حياء من العذراء في خدرها ، كان حينما ينادى انسانا في بيته يقف بعيدا أو على جانب ولم يتصدر الباب ليقع بصره على من بالداخل ، وإذا كان من حق الأب أن ينظر الى زوجة ابنه فربما يكون معها أجنبية عنه .

ثم لمن قال الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أعجب بها وأنه أحبها وملكت مجامع قلبه ، ما نرى ذلك الا من تصنيف الراوى ، وما كان الرسول صلى الله عليه وسلم الا دائم التسبيح . فلنفرض أنه سبّح فهل نحمل هذا على الواله والاعجاب ! .

ولقد كان بين زينب وزيد جفوة فما الذى جعل الراوى يستطرد فى الرواية والحوار ، والمصراحة التى بهذا الأسلوب

== عليه الصلاة والسلام مع نسائه بأوصاف نحفظ سماعنا عنها ، فمن أين لهم هذا والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر المسلمين من افشاء أسرار بيوتهم ؟ وقالوا كل هذا بحسن نية فاسأعوا الى التحين والرسول .

توغر صدر الزوج على هذا الطارق ولو كان أبا ، ثم كيف
يشتكى منها زيد والحوار يدل على مودة ومحبة .

وهل في ديننا السماح لأى مسلم مهما بلغت قيمته أن
يتوود الى امرأة متروجة ليستولى عليها من زوجها ليدخل بها .

كلا .. وحاش لمثل هذا أن يروى عن أبى الانسانية
ومعلم البشرية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

فحينما أنهى زيد ما بينه وبين زينب رضى الله عنها بعد
أن أصبحت الحياة مستحيلة بينهما ثم أوحى الله نزلت آية
الأحزاب فابتسم وقال :

« من يذهب الى زينب يبشرها بأن الله زوجها » .

فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم محبا ولها لذهب
اليها ليبشرها بزواجه بنفسه ، ولم يبحث عن انسان يذهب
اليها ليبشرها بأمر ربه في هذا الزواج ، كأنه يقول ليس لى يد في
زواجى من زينب ، وانما هو أمر الله لرجل قارب المستين من
عمره المبارك ، فهل يليق به ما يقال عن المراهقين والتافهين
فى أفكارهم ونظراتهم وتصرفاتهم ، اذا كنا نعيب على الأفراد
العابثين مثل هذا التصرف الميىن فما بالك بسيد المرسلين !

نفذ الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمر به ، وتقبله
بنفس راضية ، وأرسل الرسول أنس بن مالك ليليلغ زينب

فقالت : ما أنا بصانعة شيئا في أوامر ربي عز وجل • ثم قامت الى مسجدتها •

وانتشر الخبر في أنحاء المدينة ، ودعى الناس الى الطعام ، وصنعت أم سليم رضى الله عنها حبيسا ثم وضعت في تور • وأرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يخبره بأن هذا الطعام من عندها وأنه قليل ، فنظر اليه ثم قال عليه الصلاة والسلام :

« ضعه في ناجية البيت ، ثم قال أنس : اذهب فادع لى فلانا وفلانا — فسمى رجالا كثيرين — قال : ومن لقيت من المسلمين • قال أنس رضى الله عنه : فدعوت من قال لى ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملاء من الناس • وقال رسول الله لأنس : جىء (بالطعام) ، فجئت به اليه فوضع يده عليه ودعا ، وقال : ما شاء الله ، ثم قال : ليتخلق عشرة عشرة وليسموا وليأكل كل انسان مما يليه ، فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعه • قال : فجئت فأخذت التور ، فنظرت فيه فلا أدرى أهو حين وضعت أكثر أم حين رفعتة •

قال : وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج رسول الله التى دخل بها معهم مولية وجهها الى الحائط ، فأطالوا الحديث ، فشققوا على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس حياء ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزا •

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على من فى حجرته من نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ، فابتدروا الباب ، فخرجوا ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته يسيرا ، وأنزل الله القرآن فخرج وهو يقرأ هاتين الآيتين :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فاستشروا ولا مستأنسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم ، والله لا يستحي من الحق ، واذا سألتموهن متاعا فاسألهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، ان ذلكم كان عند الله عظيما • ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما » (١) •

ويبدو أن أناسا تكلموا فى سرائرهم كلاما ، فقطع الوحي عليهم كل ما تحدثهم به نفوسهم ، فلقد فرض الحجاب على نساء النبي — رضى الله عنهن — صونا لهن ، وبعدا عن الألسنة والأعين •

(١) الأحزاب : ٥٣ ، ٥٤ •

انضمت زينب — رضى الله عنها — الى زوجات النبي •
وكانت تعتز بانضمامها الى الرسول صلى الله عليه وسلم
وتفخر بأن الله هو الذى زوجها من فوق سبع سموات • وكانت
دائمة العبادة لله ، كثيرة المسجود والحمد لله •

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن
الخطاب رضى الله عنه « ان زينب بنت جحش أواهة » ، فقال
رجل : يا رسول الله .. ما الأواه ؟ قال : الخاشع المتضرع ،
ثم تلا : « ان ابراهيم لأواه حلیم » (١) •

ظلت وفيئة لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ،
فقد وقفت بجوار عائشة رضى الله عنها فى محنتها فى حديث
الافك ، بالرغم من أن عائشة كانت تنازعها القرب من رسول
الله الا أنها كثيرا ما كانت تنصرف الى الله عابدة صائمة •

ولما فضل الرسول صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى
زادت من كرمها وخيرها وداومت على التصدق على المساكين
تقربا اليه سبحانه وتعالى • فكانت تنفق كل ما وصل الى
يدها من مال •

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو فى امرته
أرسل اليها عطاءها اثنى عشر ألف درهم فجعلت تقول : « اللهم
لا يدركنى هذا المال فى قابل ، فإنه فتنة » •

(١) التوبة : ١١٤ •

ثم قسمته الى أهل رحمها وفي أهل الحاجة ، فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فوقف ببابها وأرسل اليها بالسلام وقال : « بلغنى ما فرقت فأرسل ألف درهم تستبقينها » وأرسل الألف فتصدق بها جميعا .

وكانت رضى الله عنها تعمل بيديها فتدبغ وتخرز وتتصدق بما يصل اليها فى سبيل الله .



أعدت كفنها ، واستعدت لاستقبال الموت وقالت : « أنا قد أعددت كفنى ، وان عمر أمير المؤمنين سيبعث الى بكفن فتصدقوا بأيهما » . وكانت وفاتها عن ثلاث وخمسين سنة ودفنت بالبقيع عام عشرين من الهجرة . وقالت عائشة رضى الله عنها حينما بلغها النبأ : « ذهبت حميدة متعبدة ، مفزع اليتامى والأرامل » .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لبعض نسائه يوما : « أسرعن لحاقا بى أطولكن يدا » .

قالت عائشة رضى الله عنها : فكنا اذا اجتمعنا فى بيت احدانا بعد وفاة الرسول نمد أيدينا فى الجدار نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب ولم تكن بأطولنا ، فعرقنا حينئذ أن النبى صلى الله عليه وسلم انما أراد طول اليد بالصدقة .

وقالت أيضا : « ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب ،
وأتقى الله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ،
وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب
به الى الله عز وجل » .

وقالت فيها أم سلمة رضى الله عنها :

« كانت زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجبة ،
وكان يستكثر منها ، وكانت صالحة قوامه ، تعمل بيدها
وتتصدق بذلك كله على المساكين » .

روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها ابن
أخيها محمد بن عبد الله بن جحش ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان
وزينب بنت سلمة : رحمها الله ورضى عنها .

أسماء بنت النعمان (١)

هي أسماء بنت النعمان بن الجون • تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد بها بياضا فمتعها ووردها الى أهلها ، ولم يدخل بها صلى الله عليه وسلم •

عمرة بنت يزيد

هي عمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فلما قدمت على الرسول صلى الله عليه وسلم استعازت من الرسول ، فقال لها : منيع عائذ بالله •

وردها الى أهلها ولم يدخل بها صلى الله عليه وسلم •

(١) روت كتب السيرة اختلافا كثيرا في أسماء وعمرة ، ولكننا اعتمدنا على رواية ابن هشام ..

السيدة صفية بنت حيى (رضى الله عنها)

صفية بنت حيى بن أخطب من يهود بنى النضير ينتهى نسبها الى هارون أخى موسى عليهما السلام ، وأمها برة بنت سموءل .

تزوجت أولا من فارس قومها وشاعرهم سلام بن مشكم ، ثم ثنت بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق صاحب أعظم حصن فى خيبر ، وهو حصن القموص .

وقد جىء بكنانة هذا بعد أن فتح المسلمون الحصن بعد قتال عنيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عنده كنز بنى النضير ، وسأله النبى عن الكنز فأنكر معرفته به ، فلما كلن من النبى الا أن قال له : « أرايت ان وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ » .

فقال : نعم .

فلما عثر المسلمون على الكنز عنده ، أسلمه النبى صلى الله عليه وسلم الى محمد بن سلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن سلمة الذى قتله اليهود فى معركة خيبر . وسبب

هذه المعركة ما بدا من مساعدة يهود خيبر للأحزاب في غزوة الخندق ، وابداء الحقد والشر للمسلمين ، فما أن انتهى المسلمون من هذه الغزوة حتى توجهوا الى ديار اليهود وهم يهتفون : « الله أكبر ، خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم ساء صباح المذرين » •

وانتقم المسلمون لأنفسهم من اليهود الذين خانوا العهد وأظهروا الغدر فقتلوا الرجال وسبوا النساء ، وكان ممن سبوا عقيلة بنى النضير صفية بنت حبي — رضى الله عنها • وكان في مقدمة السبايا صفية مع ابنة عم لها ، يقودهما بلال ، ومر بهما على قتلى اليهود ، فكان لكل من السبيتين موقف متباعد •

أما صفية رضى الله عنها فقد كتمت حزنها وتماسكت في ترفع مظهرة الألم والحسرة ، وأما ابنة عمها فقد صرخت ، وضربت وجهها ، وحثت التراب على رأسها ، ومزقت ثيابها وراحت تصرخ وتولول •

وجيء بهما الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصاح وهو يشيح بوجهه عن ابنة العم قائلاً : « أغربوا عني هذه الشيطانة » •

ثم أدنى صفية رضى الله عنها منه فوجد الهدوء والتسلى والتصبر ، فألقى عليها نظرة عطف ورحمة ، ثم اتجه الى بلال

قائلا : « أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلي رجالهما » •

ثم أمر بصفية رضى الله عنها فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فكان ذلك ايداها بأنه صلى الله عليه وسلم قد اصطفاه لنفسه ، ثم قال لها : « هل لك فى » ؟ قالت : يا رسول الله •• قد كنت أتمنى ذلك فى الشرك ، فكيف اذا مكننى الله منه فى الاسلام ؟

فأعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها ، وكان عتقها صداقها • فلما كانت عند رواحه احتقب بعيره ثم خرجت معه تمشى حتى ثنى لها ركبته على فخذه ، فأجلت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن تضع قدمها على فخذه فوضعت ركبتها على فخذه فركبت •

حملها الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى اذا كان على ستة أميال من خير مال الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعرس بها ، فأبت صفية رضى الله عنها فوجد النبى عليها فى نفسه • فانطلق بها الى منزله • فلما كان بالصهباء جاءتها أم أنس بن مالك فمشطتها وجملتها ، وكانت صفية رضى الله عنها من أجمل النساء • وأقيمت وليمة العرس ، وأكل النساء ، وعاد الى صفية سرورها وفرحتها بقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهناك سألها قائلا : ما حملك على ابائك حين

أردت المنزل الأول ؟ قالت : يا رسول الله خشيت عليك قرب اليهود — ثم راحت تقص قصة عجيبة •

قالت : انها في ليلة عرسها بكنانة بن الربيع ، رأت في المنام أن قمرا وقع في حجرها ، فلما صحت من نومها عرضت رؤياها على كنانة فقال غاضبا : « ما هذا الا أنك تتمنين ملك الحجاز محمدا » • ولطم وجهها لطمه ما يزال أثر منها فيه •

ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم قبته هناك ودخل على صفية رضى الله عنها ، وبات رجل من الأنصار هو أبو أيوب ابن زيد يقظان ساهرا متوشحا سيفه ، يطيف بالقبة على غير علم من الرسول — فلما أصبح صلى الله عليه وسلم سمع حركته ورأى مكانه فسأله •

أجاب : يا رسول الله • • خفت عليك من هذه المرأة ، فقد قتلت أباهما وزوجها ، وقومها ، وكانت حديثه عهد بكفر فخشيتها عليك •

فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى » •

وصل الركب المدينة ، ولم يشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل بصفية رضى الله عنها على زوجاته ، فأنزلها في بيت أحد أصفياه وهو حارثة بن النعمان الأنصارى • وانفتقر في المدينة خبر صفية رضى الله عنها وجمالها ،

وأنت نساء الأنصار ليرين الجمال • وكثر الحديث عن صفية
 رضى الله عنها وأرادت عائشة رضى الله عنها أن تتحقق بنفسها ،
 وأن تنظر الى الجمال الذى سيشارك معها فى قلب زوجها
 وحبيبها ، وهل سينقص من منزلتها عند الرسول صلى الله عليه
 وسلم ، ورآها رسول الانسانية تخرج متتعبة على حذر ،
 فتتبع خطواتها من بعيد ، فرآها تدخل بيت حارثة بن النعمان •
 وانتظر حتى خرجت ، فأدركها وأخذ بثوبها وسألها
 مبتسما : « ماذا رأيت يا عائشة » ؟

ف قالت — وقد أخذها شيء من الغيرة : رأيت يهودية •
 ورد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقولى
 ذلك ، فانها أسلمت وحسن اسلامها » •

انتقلت صفية رضى الله عنها الى دارها ، وقابلتها زوجات
 الرسول صلى الله عليه وسلم وقد انقسمن الى فريقين : الأول
 يتكون من عائشة ومعها حفصة وسودة رضى الله عنهن ، والثانى
 ومعهن السيدة غاطمة بنت المصطفى صلى الله عليه وسلم •
 واستطاعت صفية رضى الله عنها بلباقتها وحصافتها وما جبلت
 عليه أن تتغلب على ما يصادفها من متاعب ، فكانت تتقرب
 اليهن بالكلمة الطيبة ، والمعاملة الحسنة وأحيانا بالهدايا ،
 فقد قدمت للزهراء حلية من ذهب رمزا لحبها لأبيها ومودة لها •
 ولكن لشدة ما كان يضايق صفية رضى الله عنها حينما

كن يتعرضن لها ويصفنها باليهودية ويفخرن عليها بالعروبة •
وسمعت ما آلمها وآذاها من كلام عائشة وحفصة رضى
الله عنهما فما أغنتها الدبلوماسية فراحت تشكو للنبي وتجهر
بالبكاء ، وأراد النبي الرحيم أن يخفف عنها آلامها ويمحو
أحزانها فأخذ يمسح دموعها بردائه ويده ويقول : « ألا قلت
لهما : وكيف تكونان خيرا منى ، وزوجى محمد وأبى هارون
وعمى موسى » !

وكان كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بردا وسلاما
على قلب صفية •



كانت مواقف الزوجات من صفية رضى الله عنها ومساكنتها
لهن ومعالجة أمورها بالحكمة مما جعل الرسول صلى الله عليه
وسلم يرد عنها ويدافع كلما سئحت الفرصة بل وينزل بالمعتدية
العقاب أحيانا •

كان صلى الله عليه وسلم فى سفر ، ومعه من زوجاته
زينب بنت جحش وصفية رضى الله عنهما ، فاعتل بعير صفية
وفى ابل زينب فضل^(١) فقال لها : « ان بعير صفية اعتل فلو
أعطيتها بعيرا » ، فردت قائلة : « أنا أعطى تلك اليهودية ؟ » •
فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهجر زينب رضى الله
عنها لذلك ذا الحجة والمحرم وبعض صفر ، ثم أتاها بعد وعاد
الى ما كان عليه معها •

(١) زيادة •

وحتى في آخر أيامه صلى الله عليه وسلم ، وقد اجتمع
الزوجات حول فراش الرسول صلى الله عليه وسلم في مرضه
الأخير ، قالت صفية رضى الله عنها : « انى والله يا نبى الله
لوددت أن الذى بك بى » •

فتبادلت الأخريات نظرات ذات معنى • فما راعهن الا
أن قال صلى الله عليه وسلم : « مضمضن » ، فتساءلن في
دهشة : « من أى شىء » ؟ قال صلى الله عليه وسلم :
« تغامزن بها ، والله انها لصادقة » •

ولحق الحبيب بالرفيق الأعلى ، وظلت صفية رضى الله
عنها على الحب والوفاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مخالصة لاسلامها وعقيدتها ، تفوت على المعرضين ما يحاولون به
النيل منها •

ولما حوصر أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ، شاركت
في الدفاع عنه ، لكنها لم توغل في الخلاف السياسى ، واكتفت
بأن وضعت معبرا بين منزلها ومنزل عثمان فكانت تنقل اليه
الطعام والماء وهو في محنة الحصار •

حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الذين
رووا عنها ابن أخيها كنانة ، والامام زين العابدين على بن
الحسين ، ومسلم بن صفوان •

ماتت رضى الله عنها في خلافة معاوية حوالى سنة خمسين ،
ودفنت بالبقيع قريبا من المسجد النبوى •

السيدة جويرية بنت الحارث (رضى الله عنها)

نبدأ حديثنا عنها بما روته عائشة رضي الله عنها قالت :
« لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق ، وقعت جويرية بنت الحارث رضي الله عنها في السهم لثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها وكانت امرأة جلوة ذات ملاحه ، لا يراها أحد الا أخذت بنفسه ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستعينه في كتابتها ، قالت بنت أبي بكر رضي الله عنها : فوالله ما هو الا أن رأيته على باب حجرتي فكرهتها ، وعرفت أنه سيري منها ما رأيته ، فدخلت عليه ، فقالت : يارسول الله .. أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقع في السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها فجئت أستعينك على كتابتي . قال : « فهل لك في خير من ذلك » ؟ قالت : وما هو يارسول الله ؟ قال : « أقضي عنك كتابك وأتزوجك » قالت : نعم يارسول الله .. قد فعلت .

قالت : وخرج الى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أعتقها

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم .
قالت : فلقد أعققت بزوجي أياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ،
فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها » .

وتكمل جويرية بنت الحارث - رضى الله عنها -
الحديث فتقول :

« رأيت قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث
ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري ، فكرهت
أن أخبر به أحدا من الناس حتى قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم . فلما بتنا رجوت الرؤيا ، قالت : فأعطيني رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني . والله ما كلمته في قومي
حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم ، وما شعرت إلا بجارية
من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله تعالى » .

وجويرية هذه من بني المصطلق من خزاعة ، أبوها زعيم
القوم الحارث بن أبي ضرار . نمت إلى علم النبي صلى الله عليه
وسلم أن هؤلاء القوم يجمعون الجموع لقتال المسلمين ، فخرج
اليهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى لقيهم على ماء لهم
يقال له المريسيع ، وقاتلوا قتالا مريرا انتهى بهزيمة بني المصطلق
هزيمة منكرة ، قتل فيها مسافع بن صفوان ، وكان شديد العداء
للمسلمين وأكثرهم خصومة للرسول صلى الله عليه وسلم ،
وكانت زوجته إحدى الأسيرات بين المسلمين ، والأسيرات من

الغساء كن يتخذن اماء للبيع أو الخدمة ، ولا يسوى بينهم وبين الحرائر ، وهن محرومات من العتق الا بالمكاتبه واشتراء أنفسهن أو العتق •

ثم كان بشأنها ما أشار اليه حديث عائشة السابق وتزوجها الرسول وأصبحت من أمهات المؤمنين ، ولم ترض بغير ذلك بديلا •

يروى أن أباه جاء الى المدينة قبل أن يعلن الرسول صلى الله عليه وسلم زواجه بها ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : « يا محمد •• أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها فان ابنتي لا يسبى مثلها » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « أرأيت أن أخيرها ؟ أليس قد أحسنت ؟ » فأجاب : « بلى » • فأتاها أبوها فذكر لها ذلك فقالت : « اخترت الله ورسوله » • وأصدقها الرسول صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم •

وقالوا انها كانت مباركة فلقد عتق بسببها خلق كثير من قومها ، وأسلم بسببها أناس كثيرون ومنهم الحارث أبوها • دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في مسجدتها ، ثم مر عليها قريبا من نصف النهار •

فقال : مازلت كذلك ؟

قالت : نعم • قال : « ألا أعلمك كلمات تقوليهن ؟ :

«سبحان الله عدد خلقه (ثلاثا) ، سبحان الله رضا نفسه (ثلاثا) ، سبحان الله زينة عرشه (ثلاثا) » •

وفي صحيح البخارى :

«أن النبی صلی الله علیه وسلم دخل علیها يوم جمعة وهى صائمة فقال : أصمت أمس ؟ قالت : لا • قال : فتصومین غدا ؟ قالت : لا • قال : فافطری •

وامت سنة خمسین من الهجرة ، وصلى علیها مروان رضى الله عنهما •

مارية المصرية (رضى الله عنها)

ليست بأم للمؤمنين ، وليست بزوجة ، لكنها أثرت تأثيرا فعالا في حياة زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وامتازت عنهن بشرف الأمومة لابراهيم بن محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وبسببها أنزل الله قرآنا يتلى • فهي التي خلا بها الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة وأسدل عليها الستار ، وجاءت حفصة رضى الله عنها ، وكانت في بيت أبيها ابن الخطاب ، فلما رأت السقر مشدلا قعدت على الباب • فلما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم ألقاها بجائشة فقالت يا رسول الله أفى بيتى وعلى فراشى ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هي على حرام فأمسكى عنى » ، فقالت : لا أقبل دون أن تحلف لى ، فقال : « والله لا أمسها أبدا » • فأنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله :

« قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ، والله مولاكم ، وهو العظيم الحكيم » (١) •

(١) التحريم : ٢٠ •

وأنزل الله أيضا :

« يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك » الآية (١) .

كانت جارية أهداها المقوقس حاكم مصر ، حينما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كتابه مع حاطب بن أبى بلتعة يدعوه فيه الى الاسلام واتباع الهدى قائلا له :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » (٢) .

وبعد أن تأكدت من صفات النبي الذي يأتى آخر الزمان من ابن أبى بلتعة قال : « كنت أعلم أن نبيا قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وهناك كان مخرج الأنبياء ، فأراه قد خرج من أرض العرب ، ولكن القبط لا تطاوعنى ، وأنا أضن بملكى أن أفارقه » .

ويقال انه أسلم وحسن اسلامه وكرم الرسول ، وأرسل معه كتابا الى النبي صلى الله عليه وسلم وأوصاه بأن يتكتم ما دار بينهما فلا يسمع القبط منه شيئا .

وعلى طريقة الكرم المصرى ، فقد حمل حاطب هدية خاصة الى الرسول الأمين كانت جريتين مارية رضى الله عنها وأختها

(١) التحريم : ١ . (٢) آل عمران : ٦٤ .

سيرين وعبدأ خصياً وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً من النسيج
المصرى وبغلاً مسرجاً وحماراً أشهب وعسلاً وبخض العود
والند والمسك •

تلقى النبي صلى الله عليه وسلم كتاب المقوقس وهديته ،
وكان قد عاد من الحديبية سنة سبع من الهجرة واختار لنفسه
مارية رضى الله عنها ، ووهب أختها سيرين لشاعره الأنصارى
حسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن رضى الله عنهم •

وانتشر خبر مارية رضى الله عنها التى اصطفاهما النبى
صلى الله عليه وسلم وأنزلها منزل حارثة بن النعمان • وربما
أقت نساء المدينة ليرين الجمال المصرى ، فقد قالوا عنها انها
كانت حلوة بيضاء جعدة الشعر جذابة الملامح •

وربما قلل من شأنها عند عائشة أم المؤمنين الثانية
والمقربة من قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ، مهما يكن
جمالها ومكانتها ، أنها جارية •

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتردد عليها
كثيراً ، ويمكث عندها طويلاً ، واستطاعت بما أوتيت من مميزات
أن تحظى منه بمعاملة كروجة ، وأن يضرب عليها الحجاب
شأن أمهات المؤمنين •

ولقد وجدت فى الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفات
ما أغناها عن الوطن والأهل والعشيرة ، وفى الاسلام والايمان

ما حقق ما كانت تقرأه أو تسمعه في الانجيل ، فرضبت بالله
وبالرسول وبالاسلام .

وأراد الله أن يظهر آيته في مارية الجارية ، ويستجيب
دعاءها ، فيحقق أملا طالما رجته من الله ، واذ بها تجس بواذر
جمل لم تعرف علاماته من قبل ، فراجت تسأل نفسها عما بها ،
ولم تصل الى اجابة شافية فباحث الأختها بشعورها وحالتها ،
فأكدت لها سيرين أنها حامل . وأسرت مارية الى الرسول
صلى الله عليه وسلم ترف اليه البشرى فأشرق وجهه ، ولهج
لسانه بالشكر والحمد لله ، وسرى الخبر في أنحاء المدينة ،
وفرح المسلمون لفرح رسولهم الأمين ، وما نشك في أن زوجات
الرسول قد فرحن لفرح حبيبهن ، فقد وجدن في مولود مارية
عوضا من الله .

وربما تمنين أن يكون لهن مثل ما لمارية رضى الله عنها ،
فأعبطنها ووقع في قلوبهن شيء من طبيعة المرأة من الغيرة والتمنى .

تحكى السيدة عائشة رضى الله عنها فتقول :

« ما غرت على امرأة الا دون ما غرت على مارية ، وذلك
أنها كانت جميلة جعدة ، فأعجب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان ، فكانت
جلوتها فكان عامة الليل والنهار عندها . . . فجزعت فحولها الى

العبادية ، وكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشد علينا ،
ثم رزقه الله منها الولد وحرمانه عنه » .

ولم تسلم مارية المصرية — وهى الغريبة فى تلك البيئة —
من كلام الناس ، فقد كان القبطى الذى جاء مع مارية رضى الله
عنها وأختها يمر على مارية أحيانا فيقوم بخدمتها فيأتى لها
بالماء ويجمع لها الحطب ، فتكلم الناس فى ذلك وأسأعوا الظن
غير مقدرين صلة الغرباء فلم يلتصوا عذرا وإنما قالوا متعكفين :
« العج (١) يدخل على علةجة » فبلغ ذلك الرسول صلى الله عليه
وسلم ، فأرسل على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فأخذ سيفه
وتوجه إليه فوجده يستسقى لها ، فلما رأى ابن أبى طالب
شاهرا سيفه ورأى الشر فى عينيه ، طرح المقربة ورقى فى
نخلة ، فوقع نظر على — كرم الله وجهه — عليه ، غادا هو
خصى محبوب . فرجع على الى الرسول صلى الله عليه وسلم
فأخبره الخبر ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أصبت » . ان الشاهد
يرى ما لا يرى الغائب » .

وكان هذا كرامة من الله لامرأة تركت وطنها ورضيت بالله
ربا وكرمها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأقامت بجوار
حرمة الأمن .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم دائم التردد عليها ،

(١) العج : الكافر .

يرعاها ويسهر على راحتها ، تساعد في ذلك أختها سيرين ،
تمرضها وتقضى حاجتها الى أن حانت ساعة الوضع ليلة من
ليالى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة •

ودعا الوالد سلمى زوجة رافع القابلة لتساعددها ، بينما
راح الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يتضرع ويدعو
ويصلى لله ، وجاء رافع فبشر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمولود
فوهب له عبدا ، وذلك في ذى الحجة سنة ثمان ، وسماه
ابراهيم ، وتصدق على فقراء المدينة بوزن شمر ابراهيم
ورقا • وفرحت أمه به فلقد أصبحت أم ولد وملاّت الفرحه
أرجاء المدينة ، وتبارى النسوة لارضاعه والسهر عليه ،
واختار الرسول صلى الله عليه وسلم مرضعة ولده وجعل في
حيازتها سبعا من الماعز كي ترضعه بلبنها اذا شح ثديها •

أخذ ابراهيم ينمو يوما بعد يوم ، وتظهر ملامحه • وكان
الرسول صلى الله عليه وسلم يرى فيه ملامحه فترداد فرحته
وتقر به عينيه ، ويرجع به الى ذكرى أولاده الذين فقدهم •

قارب ابراهيم على اتمام عامه الثانى ، لكنه أصيب بمرض
مفاجىء ، وهلع قلب الأم وأسرعت الى أختها سيرين لتكون الى
جوارها تشد أزرها وتعاونها على تريض الصغير وقلباهما
يكادان ينفطران كلما رأتا المرض يشدد به فيذببل جماله
ويصفر لونه •

أما أبو الانسانية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أجزته مرض ابنه واشتداد الملة به ، ولم يصبر أن يكون خارج البيت تاركا أم ولده تقاسى الآلام ، فأسرع معتقدا على يد عبد الرحمن بن عوف وحمل ابراهيم من حجر أمه وهو يجود بنفسه ، ووضع في حجره وقد استسلم لقضاء الله ، فلا يملك الا أن يقول مخاطبا الصغير : « انا يا ابراهيم لا نغنى عنك من الله شيئا » •

واستسلمت روح ابراهيم لبارئها ، ولم يملك النبي صلى الله عليه وسلم نفسه والدمع يفيض من عينيه أن يقول : « تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول الا ما يرضى الرب ، وانا يا ابراهيم عليك لمحزونون ، وانا لله وانا اليه راجعون » • ثم نظر الى الأم الواجمة قائلا : « ان له لمرضا في الجنة » •

ثم غسله الفضل بن عباس وحمل على سرير صغير وأبوه والمدينة كلها خلفه الى البقيع ، وهناك صلى عليه الوالد وأضجعه بيده في قبره ، ثم سوى عليه التراب ونداه بالماء • وتصادف عند رجوع المشيعين أن انكسفت الشمس فقال الناس : ان الشمس كسفت لموت ابن رسول الله ، وبلغ ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته » •

رضيت مارية رضى الله عنها بقضاء الله ، وكان في رؤية
النبي صلى الله عليه وسلم عزاء وسلوى ، والرسول
صلى الله عليه وسلم يشفق عليها ويفرق لحالها ، وهى البعيدة
عن بلدها — ويوصى بها ويكرمها حيث يقول : « الله الله فى أهل
الذمة ، أهل المدرة السوداء ، والسحم الجعاد ، فان لهم
نسبا وصهرا » •

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« استوصوا بالقبط خيرا فان لهم ذمة ورحما » •

كان هذا من أجل ابراهيم وأمه مارية ، وقالوا أيضا :

ان أم اسماعيل بن ابراهيم منهم •

كان موت ابراهيم فى السنة العاشرة للهجرة ، ولكن ما كاد
ربيع الأول يقارب الانتصاف حتى تركها محمد صلى الله عليه
وسلم ولحق بالرفيق الأعلى ، تركها على أمل اللحاق به فظلت
تنتظر بعده خمس سنوات مقيدة الخطوات لا تذهب بعيدا عن
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والبقيع راضية بحظها
حامدة شاكرة لله أن من عليها بنعمة الاسلام وصحبة الرسول
صلى الله عليه وسلم • فكان ينفق عليها أبو بكر ثم عمر رضى الله
عنهما من بعده •

ودعاها الداعى فلبت مسرعة لتلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولما علم أمير المؤمنين بموتها أخذ يحشد الناس لجنائزها حتى اجتمع خلق كثير ، ثم صلى عليها رضى الله عنه ، ودفنت بالبقيع .



أسرار الحكمة في التعدد

الزوجة خديجة « الاعداد للدعوة »

قامت زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم بمساعدته في التحضير للدعوة وفي نشرها ، وكانت مهمتهن صعبة تحملن في سبيلها المشاق ، ولا شك أن الزوجة أقرب الناس الى رجلها فهي جزء منه •

« هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » (١) •

« يا أيها الناس اتقوا الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (٢) •

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » (٣) •

« فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من أنفسكم أزواجا » (٤) •

(٢) النساء : ١ •
(٤) الشورى : ١١ •

(١) الأعراف : ١٨٩ •
(٣) النحل : ٧٢ •

وبينهما من الألفة والسكون والتواد والتراحم ما ليس
بين الآخرين .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (١) .

ويبدأ تحمل مشاق الرسالة المحمدية بالزوجة الأولى
أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، فلقد صادف أياما من زواجهما
فترة الاستعداد للوحي ، وهذه الفترة كانت أصعب مرحلة
في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو يحتاج الى الهدوء
والراحة في بيته والانقطاع للتعبد في مكان بعيد عن الناس
ولا يتوافر له ذلك الا في رحاب زوجة واسعة الأفق ، كبيرة
القلب متفهمة لمنزلة الرجال ، متتبعة للأمور التي كان عليها
الأنبياء من قبل ، ولعلها استمعت لابن عمها ورقة بن نوفل
وهو يحكى الأحوال التي كان عليها الرسل من قبل .

لقد كانت راحة عقلها تتقدم كل هذا ، فهي أكبر سنا
من محمد — صلى الله عليه وسلم — وطبيعة المرأة اذا كانت
أكبر من الزوج أن تحاول الاستحواذ عليه لنفسها ، وكان
لهما أطفال صغار يوم أن شغل عنها للانقطاع للعبادة ، فلا أقل
من أن تقول له شاركنى العناية بهؤلاء الصبية ولا تتركهم عبئا
على ، أو تأتى من ناحية التجارة بأموالها والغنى والمال ،

(١) الروم : ٢١ .

فالحديث في واحدة من ذلك لرجل يريد أن يتفرغ الأمر بعيد
عن الدنيا جدير بأن يعكر الصفو ويوقف النمو الفكري ،
ويعطل المواهب ، ويبعد الغايات وحاش لخديجة رضى الله عنها
أن تصدر منها كلمة واحدة تذكر فيها أقل طلب ، أو أدنى
مساعدة .

لقد انقطع للتعبد في غار حراء الليالي ذوات العدد ،
والاتجاه الى الله يحتاج الى حياة خاصة يتخلل فيها الانسان
كثيرا عن المسئوليات الدنيوية ، ولقد كفته كل هذا الزوجة
الوفية خديجة رضى الله عنها .

كان الطريق الى تلقي الرسالة صعبا ، فان العمر الطويل
الذى عاشه محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل بلوغ الأربعين
ليتلقي الرسالة مباشرة ، ملئ بالتوجيه والتعريف ، وكان
جبريل موكلا اليه تربية محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو بين
الرجاء والأمل والحب والخوف .

كان أحيانا وهو في خلوته يسمع صوتا يناديه فيرتجف
ويضطرب فيفزع باحثا عن صدر حنون ، فيتلفت فلا يجد
الا صدر زوجته . فكانت رضى الله عنها تقف بجواره تهون عليه
الأمر ، وتشجعه وتمنيه بمستقبل عظيم ينتظره ، وتحثه
على الصبر والمثابرة ، وتدعوه للانصراف لما هو مقبل عليه ،
تاركا كل أعباء الحياة عن كاهله .

« وكانت موفقة في تصرفها فان الانشغال بالطعام ومؤنة الحياة لا يتم معه عمل عقلى منتج ، فالهلع والجزع بسبب السعى للرزق يعطل المواهب ويوقفها ويشغل النفس عن الصعود الى الارتقاء والعلاء » .

كان يتعبد في الغار على دين ابراهيم عليه السلام ، يتأمل الكون وعظمة خالقه ، ويفكر في البعث والحساب والجنة والنار ، فاذا فرغ ما معه من الزاد عاد الى بيت خديجة رضى الله عنها فيترود مرة أخرى وتقبله مبتسمة فرحة بقدومه ، فلم يحدث مرة أن عاتبته على تركه اياها هي وأولادها ، أو قللت من أهمية ما يلجأ اليه من عزلة وصمت وتفكير ، مع شدة حاجتها اليه في بيته ومع أولاده ، بل لقد كانت تخاف عليه حتى من الطريق وصعود الجبل ، والمشاق التي تصادفه في طريقه الى الغار ، وربما أرسلت خلفه من لا يراه يراقبه حتى يأوى الى غاره المختار ويرجع ليخبر خديجة رضى الله عنها فتكافئه على ما قدم من عمل .

وفي وسط الهدوء والسكينة استمر محمد صلى الله عليه وسلم يصعد في تفكيره والهامه حتى صفت نفسه ، وأصبح لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح .

وحانت ساعة العمل ، وبلغ محمد — صلى الله عليه وسلم — أشده وبلغ أربعين سنة ، وجاءه جبريل وهو وحده بالغار ،

ورآه وسمعه يقول له : اقرأ ، قال : لست بقارىء ، فقال له :
اقرأ ، قال : لست بقارىء ، فقال له : اقرأ قال : لست بقارىء .

قال جبريل عليه السلام :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق •
اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم
يعلم » (١) .

فرجع صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره فأخبر بذلك
خديجة رضى الله عنها وقال : خشيت على عظمى • كان يرتجف
مما أصابه ويرتعد مضطربا خائفا يقول :

« زملونى •• زملونى » فلفته الزوجة الحنون بالشوب
وضمته الى صدرها ولسانها يلهج بالشكر والثناء .

« كلا والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق
الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ،
وتعين على نوائب الدهر » .

وظلت به حتى ذهب عنه الروح .

* * *

أخذت بيده صلى الله عليه وسلم ، وذهبت الى ابن عمها
ورقة بن نوفل — وكان على علم بما جاءت به الأديان السابقة —

(١) العلق : ١ — ٥ .

وقصت عليه ما رأى محمد صلى الله عليه وسلم ، فابتسم لها
وهناها بمنزلة زوجها العظيم ، وشوق محمد صلى الله عليه
وسلم الى رؤية الملك مرة ثانية .

رجعت خديجة رضى الله عنها فرحة مشروقة تشجع النبي
صلى الله عليه وسلم وتقوى من عزمته يحدوها الحب
والاخلاص .

« والنشجيع وتوافر الاطمئنان أعظم ما يحتاج اليه الرجل
المخلوق لجلال الأعمال ، ولا يوجد الا حيث يوجد الحب
الصحيح » .

ولا شك في أن عناية الله كانت تكلاً هذا الزواج الموفق ،
وترعى هذا الحب العظيم .

وغاب الملك عن محمد صلى الله عليه وسلم ، واشتاق
النبي الى لقاءه ، وود لو رآه ، وليصبه ما يصبه ، واذا بالملك
يقبل يناديه ، وينصت النبي صلى الله عليه وسلم الى صوت
حبيب اليه يقول :

« يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر » (١) .

فقام ليبلغ قومه ، وكانت خديجة رضى الله عنها أول من
آمن به ، ووقفت معه تدافع بكل ما تملك عنه الأعداء ، وتمده

(١) المدثر : ١ - ٣ .

بكل ما يحتاج اليه ، ومواقفها معروفة ، وشأنها مع الكفرة مشهود ، وقد تعرضنا لشيء من ذلك عند الكلام على حياتها ، وظلت كذلك على الوفاء والحب والتفانى ، وكانت نعم العون والمساعد الى أن توفيت وتركت قلب الرسول الوفى يذكرها بالخير كلما سبحت سائحة الى أن اختار الرفيق الأعلى •



التعدد دليل على صدق النبوة

انتشرت الدعوة ، واتسعت رقعة أرضها ، وازداد عدد متبعيها . واحتاج الرسول صلى الله عليه وسلم الى من يساعده ، فانتشرت بيوت زوجاته رضى الله عنهن ، ينقلن أقواله وأفعاله ، والزوجة خير من يقوم بهذه المهمة الشاقة ، فهي ملازمة له . ومنها يستدل على صدق رسالته ، فالناس آنذاك في حاجة الى دليل على صدق دعوته صلى الله عليه وسلم أكثر من أى وقت ، فاذا كانت له زوجة واحدة أو اثنتان فقد تخفيان شيئا من أعماله ، والكثرة تمنع ذلك وتصور موافقة اجماعية فيكون ذلك خير دليل على صدق صاحب الدعوة ، لأنهن يطلعن على بواطن أمره ، وتعرف كل واحدة من سره مالا يستطيع غيرها أن يطلع عليه ، فلو كان دعيا فيما يدعو اليه لانكشف أمره ، واذا كان من المستطاع أن تكتمه واحدة لحاجة في نفسها ، فان من المستبعد أن تكتمه الكثيرات ، ولفضلان الرجوع الى أسرهن وقبائلهن وهن بمكانة سامية عند قومهن وقبائلهن . *

* * *

فأم حبيبة — رضى الله عنها — مثلا بنت أبى سفيان سيد قريش وزعيم كبير من زعماء العرب ، كان من ألد أعداء النبى

صلى الله عليه وسلم قبل اسلامه ، رآته ابنته يذل ويهان
ويحارب من زوجها ، فلو كان فى رسالته مغمز أو مطعن أو أدنى
كذب ، لتركته ورجعت الى أبيها وهى من الصدق والذكاء بمكان ،
لكنها فعلت بأبيها أكثر مما لا يتصوره الذين أفنوا أنفسهم فى
مسبيل العقيدة والدعوة ، فحينما جاء أبو سفيان الى مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم — وقد نقض عهد الحديبية —
يطلب مد أجل الهدنة ، قصد بيت ابنته أم حبيبة رضى الله عنها ،
مقابلته بامتهان لأنه أساء الى رسول الله زوجها وألب عليه
الكفار ، بل لقد منعته أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فلما طوته بهت الرجل فردته الزوجة البارة الى
صوابه قائلة : « بل فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنت رجل مشرك فلم أحب أن تجلس عليه » • فلو كان محمد
صلى الله عليه وسلم كاذبا فهل يطاوع أم حبيبة رضى الله عنها
قلبها وعقلها أن تقابل أباهـا هذه المقابلة وأن تردده عن فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولقد ظلت وفية للرسول صلى
الله عليه وسلم فى حياته وبعد مماته •

أفليست هذه شهادة زوجة على صدق دعوة الرسول
صلى الله عليه وسلم •



وجويرية — رضى الله عنها — بنت الحارث بن أبى ضرار

شديد قومه ، أصابها من بلاء الأسر وذل النفس ما جعلها تستكتب الرسول صلى الله عليه وسلم ليفك أسرها ، فترجع الى أهلها ، ثم فضلت أن تكون واحدة من نساء محمد صلى الله عليه وسلم ، ويأتى أبوها ليقول للرسول صلى الله عليه وسلم : « يا محمد أصبتم ابنتى وهذا فداؤها ، فان ابنتى لا يسبى مثلها » .

فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم : « أرايت أن أخيرها ؟ أليس قد أحسنت » ، فيجيب : بلى ، فأقراها أبوها ، فذكر لها ذلك فقالت : « اخترت الله ورسوله » .

فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاذبا ، فهل ترضى جويرية — رضى الله عنها — بالرجل الذى أذل أباه وقومها ، وأن تعيش فى كنفه ، وتترك العز والسلطان وتمتص الحياة ، لتعيش وتموت فى رحاب رجل لا يكاد يملك قوت يومه .



وزوجة ثالثة هى صفية بنت حبي — رضى الله عنها — كانت قبل زواجها من الرسول صلى الله عليه وسلم يهودية متخصصة لدينها وقومها ، قتل النبى أباه وعمها وزوجها فى الحرب ، ولكنها رضيت بالرسول صلى الله عليه وسلم زوجا ، وأهبطته جبا شديدا ، لما كلف به من نشر دعوة الاسلام ، ورأت بعينيها ما جعلها تتقانى فى طاعته ، بل وتفصل أن تفتديه بروحها وحياتها

حين اقترب من مفارقة الدنيا قائلة : « انى والله يا نبي الله
لوددت أن الذى بك بى » •

فلو لم يكن أكمل الناس فى أخلاقه ، صادقا فى دعوته ،
لرجعت الى أهلها ! تطلعهم على ما عليه محمد صلى الله عليه
وسلم •

ثم ماذا فى بيت محمد — صلى الله عليه وسلم — من النعيم
والرفاهية حتى يتمسكن به — وجلهن من سيدات العرب :
بنت أبى سفيان ، وبنت الحارث بن أبى ضرار ، وبنت أبى أمية
ابن المغيرة ، وبنت خزيمة بن الحارث ، بجانب ابنتى أبى بكر
وعمر — رضى الله عنهن — والحياة مع الرسول صلى الله عليه
وسلم فى شظف من العيش ، وقد لا يجدن أحيانا ما يقمن به
الأود ، وقد يفضلن الصيام على الطعام •

فما الذى دغاهن الى التمسك بالحياة معه ، وتفضيله على
أنفسهن ؟ انه الله والدعوة والعقيدة والخلق والرجولة •

حتى اذا حدثتهن النفس بالتمتع بالحياة فى ظل محمد ،
جاءت آية التخيير بين الحياة مع الزهد فى الدنيا والبعد عن
الملاذات والعيش مع محمد وبين الطلاق • وكانت فرصة لينطلقن
مع الحياة ومتعها ، ففضلن كلهن مجتمعات متحمسات مضحيات
الله ورسوله ، وكان هذا دليلا على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
وأن دعوته من عند خالق الأرض والسماء •

« يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا . وان كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما » (١) .

اجماع أكثر من سبع زوجات على ما امتاز به محمد صلى الله عليه وسلم من الخلق ، وعلى صدقه فيما يقول ، وحبهن له وتقانيهن في خدمته ، صار أقوى الأدلة على صدق رسالته ، فهو صلى الله عليه وسلم ليس بساحر ولا بكاهن ، ولا تعلم ما يأتي به على يد أعجمي كما يدعى الكفار .



والانسان العادى غير المتعصب يستطيع أن يلتبس الدليل من التعدد على نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن رسالته من عند الله ، وأنه ليس رجلا عاديا يأتي بمبادئه من تلقاء نفسه ، بل ان وراءه قوة خارقة لا يستطيع البشر أن يرقى رقيها ، وبهذا طالعتنا الأخبار من الهند بما قاله الرجل البوذى الذى أسلم حديثا وترك ما كان عليه قومه ، فقد وقف طويلا يفكر فى أمر التعدد ، وكيف استطاع النبى محمد صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين هؤلاء النسوة ، وأن ينظم حياتهن بجانب ما قام به من أعمال عظيمة جمع فيها بين تنظيم الحياة الاجتماعية بين أصحابه والصلة بينه وبين الله ، والحروب

(١) الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ .

التي خاضها وانقصر فيها ، والحياة المستقرة لمن تمسك
بالتباعد التي دعا اليها .

يقول البوذى الذى أسلم حديثا :

« من دلائل النبوة للنبي محمد — صلى الله عليه وسلم —
أنه تزوج تسعا ولم تشك واحدة منهن في تصرف من تصرفاته ،
ومع أنه كان مشغولا بالفتوحات الا أنه كان عادلا بينهن ،
ومع قيادته الرشيدة في الحروب فإنه كان يميل الى السلم ،
ومع كثرة المال الذى كان يأتيه فقد كان لا يبقى شيئا عنده
وهذه قدرة فوق طاقة البشر لا يتحملها الا نبي يوائم بين
أبياته عادلا ، وتشهد كل نسائه له بأنه على خلق عظيم ، فدل
ذلك على أنه نبي اذ ليس في قدرة بشر أن يوائم بين سلوكه
وكثرة ضيوفه وانشغاله بالحروب وانشغاله بالصدقات ، وهذا
يكفى لمن قرأ سيرته العطرة في الاعتقاد بأنه نبي » .

* * *

حسن معاملته لزوجاته

ولعل من حكم تعدد زوجاته ، صلى الله عليه وسلم ، أن نتعلم عمليا من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كيف نعامل زوجاتنا وبخاصة اذا تزوج المسلم أكثر من زوجة ، فلقد غير الاسلام حال الزوجة عما كانت عليه في الجاهلية من ظلم وغبن واحتقار فرضته العادات الجاهلية .

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « والله انا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم » .

لقد أنزل الله فيهن ما يحفظ عليهن كرامتهن ، ويضمن لهن الحرية والمساواة في الحدود الطبيعية التي خلقت المرأة عليها . يقول سبحانه وتعالى :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » (١) .

فالنساء مثل الرجال لهن حقوق كحقوق الرجال ، وعليهن واجبات كواجبات الرجال :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا » (٢)

(٢) الروم : ٢١ .

(١) البقرة : ٢٢٨ .

فالمرأة كالرجل في حقيقة التكوين الانساني ، فهي من نفس الرجل لم تخلق من مادة أخرى أقل أو أخط من المادة التي خلق منها ، فلها مثل العرائز والعواطف والحقوق والواجبات التي للرجل .

وقوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء » (١) .

انما هي درجة امتياز بها الرجال عن النساء لضرورة اجتماعية لا بد منها ، فهو رب الأسرة ومسئول عنها ، وأقدر على تحمل مسؤولياتها ، ولهذا علل سبحانه وتعالى هذه « القوامة » :

« بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من

أموالهم » (٢) .

ولهذا وجه الحديث الى الرجال فقال سبحانه وتعالى :
« وعاشروهن بالمعروف » (٣) « فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » (٤) وقوله تعالى : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » (٥) .

(١) النساء : ٣٤ . (٢) النساء : ٣٤ .

(٣) النساء : ١٩ . (٤) البقرة : ٢٣٢ .

(٥) البقرة : ١٨٧ .

فكل من الرجل والمرأة ستر لرفيقه ومأوى له وسكن
لعواطفه وراحة لتابعه وأمن لمخاوفه •

ولقد كرم الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة عامة
والزوجة خاصة في كثير من أقواله ، كقوله صلوات الله وسلامه
عليه : « انتقوا الله في النساء » •• « النساء شقائق الرجال »
•• « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » •• « وما زال
جبريل يوصيني بالنساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن » (١)
•• « لا يفرك مؤمن مؤمنة •• ان كره منها خلق رضي آخر »
•• « استوصوا بالنساء خيرا » •• « الرجل راع في بيته
ومستئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومستئولة
عن رعيته » •



وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — نموذجا عمليا
بمعاملته لزوجاته ، فكان مثلاً أعلى يحتذى به كل مسلم ، فبرغم
كثرتهم — والكثرة داعية الى المشاكل التي تحتاج الى حلول
تتخللها تشريعات نحن في حاجة ماسة اليها في حياتنا الزوجية —
لم يتخذ طريقا غير مألوف في معاملته لزوجاته ، وهو سيد القوم ،
فلم يتخذ القوة التي يقهر بها النساء ، كما يطيب للأقوياء أن
يتحكموا فيهن ، ويلذ لهم أن يتدخلن تحت أقدامهم منزويات في

(١) حديث جبريل هذا موضوع .

حجراتهن وقد أوصدت الأبواب دونهن خاضعات مستكينات ،
والويل لمن تشتكى ضررتها ، فيمسكوهن بقبضة من حديد ،
لا يفهن بكلمة في حضرتهم الا بعد الاذن ، لأنهن قد اتخذن
للترفيه والاستمتاع على ما كان عليه السادة في زمانه •



كلا •• ما كان هذا خلق داعية الله ، ورسول الانسانية
— صلى الله عليه وسلم — فلقد كانت معاملته لنسائه مستمدة
من تعاليم السماء ومن المنهج الاسلامى الذى تخلق به :
« أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم
لنسائهم » ١٠

لم يضرب نساءه قط ، برغم الكثرة وتعدد المشاكل ،
بل كان يعيب ضرب النساء ويكرهه • ودمغ ذلك بقوله صلى
الله عليه وسلم :

« أما يستحى أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد ••
يضربها أول النهار ثم يجامعها آخره » فلا يلجأ الرجل لضرب
زوجته الا عند العصيان والتمرد ، ضرباً غير مبرح ، فان أجدى •
والا فالفراق بعد استنفاد جميع السبل ومنها الهجر والصلح •
كما ورد فى القرآن الكريم •

والرسول صلى الله عليه وسلم يعرف أن المرأة مهما ادعت
القوة فهي ضعيفة تحتاج فى معاملتها الى الشفقة والرحمة لأنها

« خاقت من ضلع لن يستقيم لك طريقه ، فان استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها » .



كان صلى الله عليه وسلم يترك لزوجاته حرية الكلمة والتعبير عن الرأى بكل شجاعة ما دام ذلك لا يمس شعور الأخريات ، أو يسيء الى التسامح أو يغضب الله ورسوله ، وله فى ذلك مواقف لطيفة ، فحينما وصلت زوجته صفية بنت حبي — رضى الله عنها — الى المدينة ، وتسامع نساء الأنصار فجئن ينظرن جمالها ، وخرجت عائشة رضى الله عنها متنقبة ولحها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتتبع خطواتها من بعيد فرآها تدخل بيت حارثة بن النعمان — وقد نزلت به صفية رضى الله عنها — وانتظر حتى خرجت فأدركها وأمسك بثوبها ، وسألها ضاحكا : « كيف رأيت يا شقراء » ؟ فهزت كتفها قائلة : « رأيت يهودية » ورد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بالحسنى قائلا : « لا تقولى ذلك ، فانها أسلمت وحسن اسلامها » .

كان يخاطب نساءه برفق ولين ، ولا يجد غضاضة أن تناقشه الواحدة منهن ، وأن يترك لها المبادرة والأخذ بزمام الحديث ، فعائشة — رضى الله عنها — تقول للرسول صلى الله عليه وسلم فى معرض حديثها أمام أبيها : « تكلم ولا تقل الا حقا » . وحفصة — رضى الله عنها — تقاضيه سحابة

نهلم ، وكانت تباقره الحديث ، وربما بإدلهما الرأي بالرأي
والدليل بالدليل •

ففى حديث بيعة الرضوان قال صلى الله عليه وسلم :
« لا يدخل النار ان شاء الله أصحاب الشجرة والذين بايعوا
تحتها » فقلت حفصة رضى الله عنها : « بلى ، يا رسول الله »
فانتهرها ، فقلت الآية :

« وان منكم الا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا » (١) •
فما كان من النبى صلى الله عليه وسلم الا أن تلا الآية بعدها
« ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » (٢) •

ولم ير الرسول الرحيم غضاضة فى أن يرددها الى الصواب
بالرفق واللين • ويعجب عمر رضى الله عنه من ابنته لأنها فى رأيه
تجترى على الرسول صلى الله عليه وسلم فيغضب من جرأة
حفصة • ويزى الرسول — صلى الله عليه وسلم — الغضب باديا
على وجه عمر فيقول له : « ما لهذا دعونك » •

وكثيرا ما كان يساعدهن — صلى الله عليه وسلم — فى
أعمال المنزل فيضع لنا تشريعا يؤيده بقوله : « خدمتك زوجتك
صدقة » •

ولا ينسى التاريخ موقفه النبيل من زوجته عائشة رضى
الله عنها ، ومعاملته الطيبة ، وحديث الافك يذيعه المغرضون ،

(٢) مريم : ٧٢ ..

(١) مريم : ٧١ ..

وينشره بين الناس المنافقون ، حتى جعلوه أثبه بحقيقة من كثرة اللغو فيه ، والمجاهرة به ، ولم تعلم عائشة - رضى الله عنها - أول الأمر بما يلوكه الناس ، ولم يخبرها الرسول فلم يكن صلى الله عليه وسلم مصدرا لخبر سوء ما يزال يتردد على ألسنة المنافقين حتى يقاضيه بها ، فيؤذيها بما لم تقتصره . كان حليما فكظم ما في قلبه ، وكانت معاملته لها ما نسميه - بالرسميات - فلم يظهر الغضب ولا العطف ولا الحب . كن يدخل عليها وعندها أمها تمرضها فيسلم ثم يقول : « كيف تيكم » ؟ •

وفي سرية تامة أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يدرس المشكلة سأل أقرب الناس إليه أسامة بن زيد فقال : « هم أهلك ولا نعلم الا خيرا » ، وعليها كرم الله وجهه فكان مما قال : « .. وسل الجارية تصدقك » ، فسأل بريرة فقالت : « والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا أغمصه عليها ، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله » • وسأل ضرة هي زينب بنت جحش - رضى الله عنها - فقالت بعد أن استعازت : « أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت الا خيرا » •

وقام صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ولا علم لعائشة بذلك ، فكان مما قاله : « يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى عنه أذاه في أهلى ، والله ما علمت عنى أهلى »

الاخيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما يدخل على
أهلى الا معى » رواء البخارى فى صحيحه .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم متأثرا متألما ، فتأثر
الناس لنبيهم وقائد دعوتهم . وطلبت عائشة رضى الله عنها
أن تتمرض فى بيت أبيها لتوفر على أمها المتاعب ، ثم علمت
بالقصة مصادفة فزاد همها وتعبها . وعلم الرسول صلى الله عليه
وسلم بأن الحديث وصل الى مسامعها ، فأراد أن يعرف
الحديث من مصدره بالرفق واللين حتى يتخذ فيه موقفا يتفق
والفتشريع الاسلامى فقال :

« يا عائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة
فسبيروك الله ، وان كنت ألمت بذلك فاستغفرى الله وتوبى اليه ،
فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب ، تاب الله عليه » .

ولكن أنى لبنت أبى بكر — رضى الله عنها — أن تتوب من
ذنب لم تنقرفه ، لقد أقسمت ألا تتوب ، فهى بريئة كبراءة
الذئب من دم ابن يعقوب ، وما كان لها من منقذ الا بوحى من
الله ، ولقد برأها رب السماء ، وأبت عائشة رضى الله عنها
الا أن تشكر الله وحده فهو الذى برأها ودفعت عنها .



لقد انقطع الوحي ، وما عاد ينزل ليبرىء كل زوجة قد يصيبها
ما يصيب عائشة رضى الله عنها . ولكن الرسول صلى الله عليه

وسلم ألقى علينا درسا عمليا في كيفية معالجة ما يصادفنا من مشكلة كهذه ، فلا نتعجل قطع الصلة ، ولا نشير النقمة والحمية ، فنغلظ القول ، ونسئ الظن ، ونقلب حياتنا الى جحيم ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة ففي معاملته لزوجاته رفق ومروءة ومودة وطول أناة وكرم ومسلك رشيد حتى انجلت الغمة وذهبت الفتنة وظهرت البراءة .

ولقد أراد المسلمون في المدينة أن يفتكوا بأصحاب الفتنة ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم عفا عنهم ، وكان بأصحابه رؤوفا رحيما وذلك بعد أن أقام عليهم الحد .



وقد يعاقب الرسول — صلى الله عليه وسلم — زوجة لأنها آذت غيرها مهما تكن منزلتها عنده ، ليبين لنا عمليا أن العقاب أحيانا علاج لحسم الداء ، ولعدم تكرار ما يحدث ، وليكون مدعاة لاحترام الغير ، والبعد عن أذيائه باللسان .

كان النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ومعه من زوجاته زينب بنت جحش وصفية بنت حيى رضى الله عنهما ، فاعتقل بعير صفية — وفي ابل زينب زيادة — فقال لها الرسول :

« ان بعير صفية اعتل ، فلو أعطيتها بعيرا » .

فردت قائلة : « أنا أعطى تلك اليهودية » ؟

فغضب النبي صلى الله عليه وسلم من زينب وهجرها
ذات الحجة والمحرم وبعضاً من صفر .

فما عادت الى اساءة أحد بعدها .

وقد يكون الطلاق أحياناً أداة لإصلاح زوجة بها شدة
تفشى ما يأمرها الرسول صلى الله عليه وسلم بكتمانه ، وهذا
ما حصل مع حفصة — رضى الله عنها — حينما أمرها بكتمان
سر مارية فأذاعته . وقع بسببها هجره ، صلى الله عليه وسلم ،
لزوجاته شهراً ، ثم راجعها جبراً لخطر عمر رضى الله عنه .
وبهذا وغيره ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى ،
علمنا منه الحكمة البالغة فى حسن معاملته لزوجاته وبهذه المعاملة
الحسنة زاد حبه ومنزلته فى قلوبهن .

وبهذا أيضاً ضرب لنا مثلاً أعلى لحسن معاملة الزوجة
بصورة لم تعهدها البشرية من قبل . لقد حفظ حقها ، واستأذن
منها ولم ينس ذلك حتى فى ساعة الشدة ، فمن الذى يعيب على
النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو فى مرض موته ، أن يذهب
الى البيت الذى يريده ويحب أن يتمرض فيه .

لكنه الأدب الذى أدبه به رب السماء ، والحياء الذى
جمله الله به ، فقد تمسك بما شرع وقنن ، وقد بقيت أيام قليلة
من حياته المباركة ، فراح ينظر الى زوجاته رضى الله عنهن —

وقد اجتمعن حوله وهو يغالب المرض - قائلًا : أين أنا
غدا ؟ أين أنا غدا ؟ وعرفت زوجاته اللبيبات ما يقصد صلوات
الله وسلامه عليه ، ولم يتعودن منه إلا الخلق الحسن ، فقلن :
« يا رسول الله لقد وهبنا أيماننا لعائشة » .

وفي هذا حكمة بالغة ما بعدها حكمة ولا قول لقائل .



وكانت عائشة رضي الله عنها قد علمت ما يقصد من صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يتعودن منه إلا الخلق الحسن ، فقلن : « يا رسول الله لقد وهبنا أيماننا لعائشة » .

وكانت عائشة رضي الله عنها قد علمت ما يقصد من صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يتعودن منه إلا الخلق الحسن ، فقلن : « يا رسول الله لقد وهبنا أيماننا لعائشة » .

وكانت عائشة رضي الله عنها قد علمت ما يقصد من صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يتعودن منه إلا الخلق الحسن ، فقلن : « يا رسول الله لقد وهبنا أيماننا لعائشة » .

وكانت عائشة رضي الله عنها قد علمت ما يقصد من صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يتعودن منه إلا الخلق الحسن ، فقلن : « يا رسول الله لقد وهبنا أيماننا لعائشة » .

أسباب اجتماعية وسياسية

يضاف الى الأسباب الدينية والتشريعية لتعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أسباب اجتماعية وسياسية منها ما يأتى :

كان زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من سودة رضى الله عنها فيه تأليف لبنى عبد شمس وبنى هاشم وتخفيف لحدة التوتر بينهم ، فهو من باب تأليف القلوب ، وكان تشريفا لبني النجار أخوال الرسول — صلى الله عليه وسلم — لأن أمها الشموس بنت قيس كانت من بنى عدى بن النجار •

كانت قبل أن تشرف بزواجها من الرسول صلى الله عليه وسلم زوجة لابن عمها ، فتوفى عنها بعد رجوعه من الحبشة ، وكانت من أسبق النساء الى الاسلام ، آمنت وهجرت أهلها وهاجرت الى الحبشة فرارا من اعنات المشركين لها ولزوجها •

فلما مات لم يبق لها الا أن تعود الى أهلها فتؤذى أو تتزوج بغير كفاءة أو بكفاءة لا يريدونها ، فضمها الرسول — صلى الله عليه وسلم — حماية لها وتأليفا للأعدائه من آلها •

وزواجه ، صلوات الله وسلامه عليه ، من صفة — رضى الله عنها — كان اعزازا من ذل • وكانت هذه سنة رسول الله

صلى الله عليه وسلم في معاملة الناس . لاسيما النساء اللاتي تنكسر قلوبهن من الخذل بعد فقد الحماية والأقارب ، فهي سيّدة بنى قريظة ، وهو مخير بين أن يلحقها بأهلها أو أن يعتقها ويتزوج بها فاختار الرسول صلى الله عليه وسلم الزواج منها بعد موافقتها ورغبتها .

ويضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في المحافظة على الشعور الانساني ، فلقد أنب بلالا لأنه من بها وبابنة عمها على قتلى اليهود ، فقال له مغاضبا : « أتزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما » .

ولما احتقرتها زينب بنت جحش — رضى الله عنها — فلقيبتها مرة باليهودية ، هجرها الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من شهرين لا يكلمها . فاقد أخذ ينتصر لهذه الغريبة ويدفع عنها الضيم .

وجويرية بنت الحارث — رضى الله عنها — كان أبوها زعيم بنى المصطلق ، وقد هزمه المسلمون هزيمة نكراء فكاد الهم يقضى عليهم . فأراد النبي صلى الله عليه وسلم مواساتهم فصاهرهم بالزواج من ابنة زعيمهم ، وتبعوا لهذا تخرج المسلمون من سبيهم لبنى المصطلق — وقد أصبحوا أصهار الرسول صلى الله عليه وسلم — ففكوا أسرهم ، وبذلك عاد للقوم هريتهم وارتفعت معنوياتهم ، ودخلوا في الاسلام وحسن اسلامهم ، ثم خيرها أبوها بين العودة اليه أو البقاء في حرم الرسول ، فاختارت

البقاء في حرم الرسول صلى الله عليه وسلم فأسلم الرجل وحسن إسلامه .

وزواجه من أم حبيبة — رضى الله عنها — كان لرفع الروح المعنوية عند المسلمين . فلقد هاجرت مع زوجها الى الحبشة وارتد الزوج ، فلو كان في قلبها ذرة من شغف لطاوعت الزوج ، وخرجت معه على الاسلام ، ولكنها ظلت مستمسكة بدينها وفيه لله ورسوله ومعها أبنائها في حاجة الى النفقة والطعام والعناية .

صارت حديث قريش كلها ، وهي بنت أحد ساداتها يلوك قصتها الرائع والغادى ، فكان في زواجها من الرسول الوفى قطع للالسننة ، فلا تتكلم عن المسلمين شراً .

أنزلها الرسول صلى الله عليه وسلم المنزلة الملائكة بها ، وهي منزلة أمهات المؤمنين ، تلك المنزلة التي تتمنى كل امرأة أن تصل اليها .

وكذلك كانت أم سلمة رضى الله عنها . . تركت كل شيء في سبيل دينها ، وكثر أولادها ، واستعدت لتحمل عبء الحياة بعد أن استشهد زوجها استشهدا بطيئاً وهو لا يفتأ يجاهد في سبيل الله .

وتسابق كبار الصحابة ليحملوا عنها العبء ، ولكن الرسول الأعظم أكرمها وتزوجها فوقها شر العوز ونفقة الأولاد .

ولقد أراد أن يكرم أبا بكر رضى الله عنه ويقربه أكثر
 من قلبه فيصهر اليه • وأى إكرام أكبر من أنه تزوج ابنته :
 فراد القرب ، وارتفعت المكانة ، وعم الوفاق ، وقويت الرابطة •
 وفعل ذلك مع عمر ففتزوج حفصة رضى الله عنهما ، فقويت
 الرابطة بينه وبين عمر ، وزاد التعاون وعمت الألفة ، وكثرت
 المحبة ، مع أقوى رابطة فى الوجود رابطة أخوة الاسلام •



والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

مراكز الدعوة

كانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم مراكز للدعوة ينهل الناس منها ما يريدون من تشريع ينفعهم في دينهم ودنياهم ، وليسألوا عما يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول وعما خفى عنهم واستعصى ، ومن يجبن ويعلمن وينشرن أقواله وأعماله .

ولقد ضرب بعضهم بسهم وافر في نشر الدعوة ، فعائشة رضى الله عنها كانت في مقدمة الزوجات ، وكان بيتها جامعة كبرى للمسلمين ، ويكفيها فخرا أنها حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بألفين ومائتين وعشرة أحاديث . وكانت من الفصاحة والبلاغة والمذكاء ما جعلها تناقش في المسائل التي يختلف فيها الصحابة ، فروى عنها أكابرهم وفي مقدمتهم عمر رضى الله عنه .

زوجة يعرف الرسول — صلى الله عليه وسلم — فضلها على الدعوة ، أفلا ينزلها منزلة فريدة لا تصل إليها زوجة أخرى ؟ كانت عائشة رضى الله عنها جديرة بالحب والمودة مع صغر سنها ، وبعد ما فضلت به على أمثالها ، ويكفيها فخرا أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » (١) .

(١) حديث الحميراء ضعيف .

وإذا كان من التشريع ما يصلح للزوجة وغيرها ، فمن الأحكام ما تستحي المرأة من الاستفهام عنه من الرجال ، ولا تصلح له إلا امرأة بل زوجة •

جاءت امرأة من الأنصار ، فقالت : يا رسول الله •• كيف أغتسل من الحيض ؟ قال : خذي فرصة (١) ممسكة فتوضئي ثلاثا ، ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم استحيى فأعرض بوجهه ، وقال : فتوضئي بها •

تقول راوية الحديث السيدة عائشة رضى الله عنها : « فأخذتها فجذبته فأخبرتها بما يريد النبي صلى الله عليه وسلم » •

فلزم اذن أن يتلقى أحكام النساء من الرسول صلى الله عليه وسلم عدد كثير منهن ، اذ القليل لا يتأتى به المصلحة ، والأنسب أن يكن أزواجا له لأن للزوجات خصائص بها يتمكن من السؤال عما يلزم بغير استحياء أو تأفف •

وكان من الزوجات من اختيرت لتكليف دعت اليه ضرورة لتحقيق مصلحة دينية واجتماعية ، كما اختيرت زينب بنت جحش رضى الله عنها للقضاء على مشكلة التبني كما هو معروف عند العرب ، فلقد كان الرجل يلحق بنسبه من يشاء فيعطيها اسمه ولقبه ويأخذ مكان الابن الحقيقي ويتساوى معه في كافة

(١) قطنه أو صوف مطيبة بالمسك •

الحقوق ، فتحرم عليه زوجة المتبنى مع أنها في الواقع حلال له ،
 ويرث أمواله وهي في واقع الأمر ليست أمواله ، وقد تحل له
 أخت تنتمي الى غير أبي المتبنى وهي في الحقيقة أخته ، فتختلط
 الانساب ويأخذ ما ليس من حقه ، فمنها عن هذا لفداحة
 نتائجها .

« وما جعل أديعائكم أبناءكم ، نلكم قولكم بأفواهكم ،
 والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لأبائهم هو
 أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين
 ومواليكم » (١) .

ولم يكن العربي يتصور أن يتزوج الأب المدعى زوجة ابنه ،
 فلو صدر هذا من انسان عادى لكان الانسان في شك
 من أمر هذا التحريم الحلال ، فربما يتأوله أو يخرج على
 مخرج غير صحيح ، لكن حينما يصدر من النبي فيتزوج زوجة
 متبناه يكون أوقع في النفس وأقوى في الدلالة على ابطال هذه
 العادة ، وأدعى ليقبله المسلمون فينهى المشكلة .

« لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديعائهم اذا
 قضاوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا » (٢) .

ولما تخرج النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الزواج
 في أول الأمر ، وتأذى من الاقبال على الدخول بزوجة المتبنى ،

(١) الأحزاب : ٤ ، ٥ . (٢) الأحزاب : ٣٧ .

أخبره الله أن هذا الزواج بأمره وللرسالة فلا ينبغي أن يتأخر الرسول أو يتباطأ •

« ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا » (١) •

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشاور نساءه إذا تأزمت الأمور فيشرن عليه بالرأى الصائب ، فلقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة وكتب كتابه المشهور في صلح الحديبية ، وغاب عن المسلمين في ذلك الوقت حكمة هذا الصلح ، فأصابهم بعض الغم والتراخي إذ كانوا يريدون استعمال القوة وأداء العمرة ودخول مكة • ثم طلب منهم الرسول صلى الله عليه وسلم النحر والحلق فلم يقيم منهم رجل بعد أن قال ذلك ثلاث مرات •

فدخل على أم سلمة — رضى الله عنها — فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت رضى الله عنها : يا نبي الله ، اخرج الى المسلمين ثم لا تكلم أحدا حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك • فخرج النبي عليه الصلاة والسلام وعمل بما أشارت به زوجته فنحر وحلق ، فلما رأى المسلمون ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما وهما • أضف الى ذلك أن كثيرا من الآيات والأحكام نزلت بسببهن •

(١) الأحزاب : ٣٨ •

شهدت أم سلمة رضى الله عنها فتح خير ، وقالت مع نسوة : ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال ، فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم .
فنزل قوله تعالى :

« ولا تظنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله » (١) .

ولعل حديث ابن مسعود رضى الله عنه هو الذى فسر نصيب الاكتساب فيما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند حسن ، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال ، فمن صبر منهن ايمانا واحتسابا كان له مثل أجر الشهيد » (٢) .

حقا لقد كانت مهمتهن صعبة تجاه الرسالة ، لذلك لم يتركهن الله سبحانه وتعالى فراقب تحركاتهن وتجمعتهن وما تحدثت به نفوسهن ، كى يمتنعن عن الانشغال بغير الرسالة والرسول — صلى الله عليه وسلم — وحتى يبتعدن عن كل ما يعوق سير الدعوة أو يؤثر فى نشرها .

اجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم وأردن زيادة النفقة

(١) النساء : ٣٢ .

(٢) الجامع الصغير للسيوطى ج ١ ص ١٢٠ .

وتغايرون ، فأحزن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى :

« يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحا جميلا • وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » (١) •

فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة الصغيرة خير داعية لله وللرسول ، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، وتبعتها بقية الزوجات لم تتخلف منهن واحدة •

كان القرآن دائم النصح والتذكير لهن وللمهمة التي وجدن الرسول صلى الله عليه وسلم من أجلها ، وكثيرا ما كان يهددهن حتى يتخلصن من آثار الحياة وشواغلها •

« يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ، ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض » (٢) •

« عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا » (٣) •

(١) الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ • (٢) الأحزاب : ٣٢ •

(٣) التحريم : ٥ •

« وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ،
وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا •
ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ، إن الله كان لطيفا
خبيرا » (١) •

« يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا » (٢) •

« ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها
مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما » (٣) •

وإذا كانت المقادير قد حرصت على العناية بأمهات
المؤمنين — رضى الله عنهن — كى ينشرن الدعوة ، فإن عناية
النبي صلى الله عليه وسلم كانت جنبا الى جنب تفسير في نفس
الطريق التشريعى للأمة •

طلق عمرة الكلابية ولم يدخل بها حينما تقدم اليها
فاستعاذت بالله منه لأنها من الجهل والغباء بحيث لا تصلح أن
تكون في صفوف الداعيات من زوجاته صلى الله عليه وسلم •
وطلق حفصة بنت عمر — رضى الله عنهما — تطليقة الأمر

(١) الأحزاب : ٣٣ ، ٣٤ • (٢) الأحزاب : ٣٠ •

(٣) الأحزاب : ٣١ •

يهم الدين ، فلقد أفشت سرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ولم يبال بأنها ابنة عمر لأن أمر الدين أوجب أن يلتزم •

ولم يغضب عمر رضى الله عنه ، بل التفت الى ابنته قائلاً :
« ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها » •

وردها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن تابت وأتابت
عما صدر منها ، وهددها عمر رضى الله عنه بقوله : « ان طلقك
رسول الله مرة ثانية لا أكلمك أبدا » •

نستطيع بعد هذا العرض أن نقول ان التعدد كان
لمصلحة الدعوة وحدها • وحينما انتشرت الدعوة وأدت كل
واحدة من الزوجات دورها كاملاً ، نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن الزواج ، فلقد قاربت الرسالة على التمام وسارت
الدعوة نحو الكمال :

« لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من
أزواج » (١) •

بهذا التقاى في خدمة الرسالة ، ووقوف الزوجات
المخلصات الى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم غير مدخرات
وسعا في مؤازرته ومساندته رفع الله درجاتهن ، وكن شريكات
في حياة فاضلة غالية ، واستحققن قوله تعالى :

(١) الأحزاب : ٥٢

« النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم » (١)

فنلن وسام الشرف والاستحقاق وصرن أمهات المؤمنين .
وبهذا أنزلهن الاسلام المنزلة السامية ، وجعلت درجاتهن
في أعلى عليين ، فكان أبو بكر رضى الله عنه مع مكانته وفضله
الذى شهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :
« ما طلعت الشمس بعد النبيين بأفضل من أبى بكر » ينادى
ابنته عائشة — رضى الله عنها — « يا أمة » ، وكذلك فعل
جميع الصحابة .

واثبات التشريف بالأمومة لا يجيز الخلوة بهن ولا مقابلتهن
من غير حجاب ، ولا يجوز لأحد أن يلتقى بهن ولو مع محرم .
« لا جناح عليهن في آبائهن ولا آبائهن ولا اخوانهن
ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت
أيماهن ، واتقين الله ، ان الله كان على كل شيء شهيدا » (٢) .
وسؤالهن في شئون الدين والدنيا انما يكون من
وراء حجاب .

« واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ،
ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » (٣) .

فبالحجاب قطع الطريق على الفضوليين والثقلاء والذين

(٢) الأحزاب : ٥٥ .

(١) الأحزاب : ٦ .

(٣) الأحزاب : ٥٣ .

تطول ألسنتهم فيتحدثون عن أمهات المؤمنين — رضى الله عنهن —
بما يسوءهن كما هي عادة الذين يترددون على بيوت
الزعماء والقادة •

« أن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء
علماً » (١) •

وثبت تحريم الزواج بهن بعد أن لحق الرسول الأعظم
بالرفيق الأعلى « وما كان لكم أن تؤنوا رسول الله ولا أن
تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ، أن ذلكم كان عند الله عظيماً » (٢) •

وليس لأحد أن يتمنى الزواج بهن ، روى ابن عباس
« أن رجلاً أتى بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فكلمها
— وهو ابن عمها — فقال النبي صلى الله عليه وسلم له :
« لا تقوم من هذا المقام من بعد يومك هذا » • فقال :
« يا رسول الله إنها ابنة عمى ، والله ما قلت منكراً ولا قالت لى •
قال النبي صلى الله عليه وسلم « قد عرفت ذلك • أنه ليس
أحد أغير من الله ، وأنه ليس أحد أغير منى » •

فمضى الرجل ثم قال : يمنعنى من كلام ابنة عمى لأتزوجنها
من بعده • فلما نزلت آية الاستئذان والمنع فى الأحزاب ، أعتق
ذلك الرجل رقبة وحمل على عشرة أبعة فى سبيل الله وحجج
ماشياً •

(١) الأحزاب : ٥٤ • (٢) الأحزاب ٥٣ •

وبحرمة الزواج من أمهاتنا ، رضى الله عنهن ، صان الله كرامتهن وحفظهن درجاتهن التى نلنها بالزواج من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو أبيح لزوجة الرسول أن تتزوج بعده ، لصارت فى عصمة آخر وتحت كفالته ونسبت اليه ، وبهذا تذهب كرامتها وتسقط من أرفع درجة الى درجة أقل فتخسر ما كان لها من التبجيل والتعظيم ولو كان زوجها أفضل رجل فى الأمة •

ولذلك اقتضت حكمة الله أن تبقى على ثقة الأمة بهن ، لتأخذ عنهن العلوم الشرعية التى تعلمنها من الرسول صلى الله عليه وسلم • فلو تزوجت واحدة منهن بغيره لارتابت بها الأمة ، فتضيع الثقة وتضيع العلوم الشرعية التى لا تعلم الا من أمهات المؤمنين فتفقد الخير الكثير ، وأيضا اتقاء الفتنة التى تقوم بين الأمة بسببهن ، فلو أبيح نكاحهن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لرغب فيهن فضلاء الأمة وعظماءها للتبرك والتميم والحظوة بعلومهن التى تسبب المنزلة والرفعة فيقع التنازع والتخاصم بسببهن ، وكذلك منع غير المستحقين للخلافة من التناول اليها ، لأن من تزوج احداهن يزعم أن له شرفا بزواجه منها ، فيجد فى استمالة النفوس وخداع العقول ، ويوهم الناس أنه أحق بأن يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمته كما خلفه على زوجته •

ولقد أمرهن القرآن الكريم بأن يحتجبن إذا اضطرن للخروج ليلاً للحاجة ، فقد كان هناك بالمدينة جماعة من الفساق يتعرضن للاماء اللاتي يخرجن ليلاً لحاجتهن ، فكانوا يتعرضون من غير قصد للزوجات ظانين أنهن اماء ، وكان ذلك يؤذيهن فشكلن ، فخطب هؤلاء الفساق في هذا الأمر فاعتذروا بأنهم انما يفعلون ذلك بالاماء . وكان أن خرجت سودة بنت زمعة — رضى الله عنها — زوج النبی — صلى الله عليه وسلم — بعد خديجة — رضى الله عنها — لحاجتها ، فرآها عمر رضى الله عنه وعرفها فقال : ياسودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين ، فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضى الله عنها ، وانه ليتعشى وفي يده عرق — فدخلت وقالت : يا رسول الله انى خرجت لبعض حاجتى فقال لى عمر كذا وكذا ، فأوحى الله اليه :

« يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤنين ، وكان الله غفورا رحيما » (١) .

وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم كان الصحابة يرجعون الى أمهات المؤمنين في كثير من أحكام الشريعة ، فمن كان له

(١) الأحزاب : ٥٩ ..

قربة منهم كان يسألها دون غيرها ، وكثيرا ما يكون الرواة
عنهن من المحارم •

فالسيدة عائشة — رضى الله عنها — روى عنها كثيرون
منهم : أختها أم كلثوم ، وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث ،
وابنا أخيها القاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر ، وحفصة
وأسماء بنتا أخيها عبد الرحمن . وعبد الله وعروة ابنا عبد الله
ابن الزبير من أختها أسماء ، وروى عنها غيرهم من أقاربها ومن
الصحابة والتابعين كثيرون •

أما حفصة — رضى الله عنها — فروى عنها أخوها عبد الله
ابن عمر وابنه حمزة وزوجته صفية بنت عبيد وأم بشر
الأنصارية • وأما ميمونة رضى الله عنها فروى عنها أبناء أخواتها ،
ولاسيما أعلمهم وأشرفهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهم
أجمعين •

أما رملة بنت أبي سفيان رضى الله عنها فروى عنها ابنتها
حبيبة وأخوها معاوية وعتبة وابنا أخيها وأختها • وحتى صفية
رضى الله عنها كان لها ابن مسلم روى عنها فيمن روى •

ولقد كانت زوجاته اللائى توفى عنهن عليه الصلاة والسلام
معلمات ، ومفتيات لنساء أمتهم ورجالها فكن خير من قام
بمهمة توصيل الأحكام الى عامة المسلمين •

* * *

مكانة الأمهات بعد الرسول صلى الله عليه وسلم

بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى توارث الصحابة والخلفاء الاحترام والتقدير لهن عنه صلى الله عليه وسلم وعن المنزلة السامية التي توجهن الاسلام بها ، وتسابق الجميع في رعايتهن واجلالهن ، فبجانب أن بيوتهن كانت مراكز الدعوة ينهل منها كل من يريد أن يتزود من العلم والمعرفة والاطلاع على ما كان يفعله الرسول الأعظم ، انقطعن للعبادة والتصدق مؤثرات الزهد والورع .

وأول ما صادفنه بعد الوفاة البحث عما ورثته من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأردن أن يرسلن عثمان بن عفان الى أبي بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبير وفدك ، فذكرتهن عائشة قائلة : أما تتقين الله ! أما سمعتن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة » ؟ • فأمسكن .

كان أبو بكر رضى الله عنه يسوى بين الناس في المعطاء فكان يأخذن نصيبهن وينلن منه ما يقوم به الأود ويتصدقن بالفائض ، فلما تولى عمر رضى الله عنه الخلافة كان يرى التفاصل

بين المسلمين فجمع الصحابة وقال : انى قد رأيت أن أفرض
 العطاء لأهله الذين افتتحوه فقالوا : نعم الرأى ما رأيت يا أمير
 المؤمنين قال : « فبمن أبدأ ؟ » قالوا : « بنفسك » قال :
 « لا ولكنى أضع نفسى حيث وضعها الله وأبدأ بأل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم » فكتب عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها
 فى اثنى عشر ألفا وكتب سائر أزواج النبى فى عشرة آلاف •
 وروى الطبرى أن عمر — رضى الله عنه — كان يجعل
 لنفسه ولكل نفس منقوسة من أهل الفىء فى رمضان درهما فى
 كل يوم وفرض لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم درهمين •
 وأثنت عائشة على عمر رضى الله عنهما ، فكان مما قالت :
 « كان عمر بن الخطاب يرسل إلينا بأحظائنا — بحصصنا —
 حتى من الرؤوس والأكرعة » •

وظل يحرص على كفايتهن مئونة العيش تاركاً لهن حرية
 الاختيار حتى يكن فى رضا كامل ، كما حصل عندما قسم خبير
 فقد خير أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقطع
 لهن من الأرض أو يضمن لهن مائة وسق كل عام • فمنهن من
 اختارت الأوسق ، ومنهن من اختارت الاقطاع •

وبعث بالعطاء الى أم المؤمنين زينب بنت جحش ، رضى
 الله عنها فلما أدخل عليها قالت : « غفر الله لعمر ، غيرى من
 أخواتى أقوى على قسم هذا منى » قالوا : « هذا كله لك » •

فقالت : « سبحان الله » ، واستترت دونه بثوب وقالت :
« صبوه واطرحوا عليه ثوبا » ، ففعلوا ، فقالت لبرزة بنت رافع :
« أدخل يدك فاقبض منه قبضة فاذهبي الى آل فلان وآل
فلان » من أيتامها وذوى رحمها ، فقسمته حتى بقيت منه بقية ،
فقالت لها برزة « غفر الله لك ، والله لقد كان لنا في هذا حق »
قالت : « فلكم ما تحت الثوب » فكشفت الثوب فوجدت
خمسة وثمانين درهما ، ثم رفعت زينب رضى الله عنها يدها
وقالت : « اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا » • وقد
استجاب الله لها • فكانت أول أزواج النبى صلى الله عليه وسلم
لحوقا به •

كان عمر رضى الله عنه أحرص الناس على ألا يمس
الأمهات أدنى مضايقة ، فقد طلبن منه الحج ، فأبى عليهن خوفا
ما قد يلحقهن فى الطريق • ولما ألحهن أذن لهن وأرسل
معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما ،
وأمرهما أن يسير أحدهما بين أيديهن والآخر من خلفهن ولا
يسايرهن أحد ، وقال : « فاذا نزلن فأنزلاهن شعبا ثم كونا على
باب الشعب لا يدخل عليهن أحد » ثم أمرهما اذا طفن بالبيت
ألا يطوف معهن أحد الا النساء ، فلما هلك عمر غلبن من بعده •

وكذلك فعل عثمان رضى الله عنه وكان يضع مكانه سعيد بن
زيد • على أن منهن من لم تحج فقد ذكروا أن النبى صلى الله

عليه وسلم قال في حجة الوداع : « هذه ثم ظهور الحصر »
يعنى لا حج بعد هذه الحجة ، فأخذت بذلك زينب بنت جحش
وسودة بنت زمعة رضى الله عنهما فكانتا تقولان : لا تحركنا
دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما اشتد الخلاف بين عثمان رضى الله عنه وبعض المرعية ،
كانت بيوتهن ملجأ الطرفين على السواء ، وكانت نصائحهم
يستمعها الكبير والصغير .

وقد دار حوار بين أم سلمة رضى الله عنها والخليفة عثمان
ابن عفان ، قالت أم سلمة رضى الله عنها تعظ عثمان : « يا بنى
مالى أرى رعيته عنك نافرين ومن جنبك مزورين (١) ،
لا تعف (٢) طريقا كان النبى أحبها (٣) ولا تقتدح زندا كان
أكباها . توخ حيث توخى صاحبك فانهما ثكما (٤) الأمر ثكما
لم يظلما أحدا فتिला ولا نفيرا ، ولا يختلف الا فى ظنين (٥) .
هذه حق بنوتى قضيتها اليك ولى عليك حق الطاعة » .

فقال عثمان رضى الله عنه : « أما بعد .. فقد قلت ووعيت
ووصيت فاستوصيت ، ولى عليك حق النصتة . ان هؤلاء القوم

(٢) لا تمح .

(١) مبتعدين .

(٣) أوضحها .

(٤) ثكما الأمر لزماه ولم يحيدا عن الحق .

(٥) التهم .

الغثرة^(١) تطأطأت^(٢) لهم تطأطؤ الدلاة : أرانيهم الحق اخوانا ، وأراهم الباطل اياى شيطاننا ، أجبرت المرسون^(٣) منهم رسنه ، وأبلغت الراتع مسقاته ، فتفرقوا على فرقا ، صامت صمته أنفذ من قول غيره ، ومزين له فى ذلك ، فأنا منهم بين ألسنة ألداء وقلوب شداد وسيوف حداد ، ألا ينهى حليم سفيها ، ألا يعظ عالم جاهلا ، قد يرى الله منهم يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعندرون » •

هذا وان كنا نرى التعامل فى اللفظ ، فلا نشك أن مثل هذه الأمور نوقشت فى بيوت أمهات المؤمنين رضى الله عنهن •

ولما اشتد الخلاف وجدنا أم المؤمنين صفية بنت حبي رضى الله عنها تحمل الطعام الى عثمان من السطح ، ولا تدخل من قريب أو بعيد فى الأزمة ، وانما يحملها الى ذلك ما تعرفه عن عثمان من فضل ومكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ولما انتهى الخلاف بقتل عثمان رضى الله عنه ، وكان ما كان من خلاف بين معاوية وعلى رضى الله عنهما — رأينا أم سلمة رضى الله عنها ترسل ابنها عمر ليحارب فى صفوف على قائلة : لو كان عندى ثانيا لأرسلته •

(١) السفلة والرعاع • (٢) انحنيت •

(٣) الذى عليه الرسن • قالوا : وأجوره رسنه : تركه يرعى كيف يشاء •

بينما نرى عبد الله بن الزبير يقنع خالته أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - فتقطع الأميال لتكون ضد ابن أبى طالب مع طلحة والزبير • فلما انتهت المعركة بانتصار على كرم الله وجهه وقتل الجمل الذى كان يحمل عائشة رضى الله عنها نقل هودجها الى جمل آخر سار به حفيدا الرسول الأعظم الحسن والحسين ابنا على بن أبى طالب ، - رضى الله عنهما - فظلا بها الى أن وصلت الى بيتها بالمدينة •

ومع أن البعض يعد هذه هفوة منها ، الا أن ذلك لم ينقص من مكانتها ومنزلتها حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم • وظل من بقى منهم فى مكان الصدارة وفاء وحبا للرسول صلى الله عليه وسلم ، وتقديرا لما أعطاهن الاسلام من مكانة ، رضى الله عنهن أجمعين ، الى أن لقين الرفيق الأعلى •

* * *

رد على شبه المغرضين

ان الانشغال بالشهوات الدنيوية ، ومنها الانغماس في ملذات الجسد والبحث عن التمتع بالنساء لا يظهر في حياة المرء فجأة بل لا بد له من تركيب خاص في الجسم غالبا ما يظهر في السن المبكر وتظهر دلائله واضحة في تباشير الصبا وفي أيام الشباب وفي اكتمال الرجولة • ومن المستبعد أن تظهر الرغبة الجامحة في زمن الكهولة بلا مقدمات ، ومحمد — صلى الله عليه وسلم — كان عافا في صباه وشبابه ، فلم يؤثر عنه أنه ضل وأنه غوى فحاد عن الطريق المستقيم ، لقد كان في الجاهلية وقبل الرسالة يلقب بالأمين ، وكان مثالا أعلى للشباب ، ويحفظ له التاريخ تلك المرة التي أراد أن يذهب فيها ليستمع الى السامر في عرس عند أهل الحى فما كاد يقترب من منتدى القوم حتى وقع بينهم ما أفسد به الليلة ونام محمد — صلى الله عليه وسلم — بجوار حائط فلم يوقظه الا حرارة الشمس •

فلما تزوج خديجة رضى الله عنها شغل بما هو أكبر من الحياة فكان يستعد للقاء عالم ليس للناس به سابق علم ، ولا يستطيع

المرء أن يتصل به الا اذا تربى تربية خاصة ومرنت النفس
على الاقتراب من ذلك العالم ومن سماع الوحي ، فقد كون
تكويننا آخر تدخلت فيه قدرة خالق البشر وهو الأعلم به •

« ألم يجدك يتيما فآوى • ووجدك ضالا فهدى • ووجدك
عائلا فأغنى » (١) •

« ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • ان
هو الا وحى يوحى • علمه شديد القوى • ذو مرة فاستوى •
وهو بالأفق الأعلى • ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسين أو أدنى •
فأوحى الى عبده ما أوحى • ما كذب الفؤاد ما رأى » (٢) •

فالذين يفترون على صفوة الخلق محمد بن عبد الله الكذب
فيفزعون أن زواجه بهذا العدد من النساء كان اشتغالا
بالشهوة الجسدية ، انما يفترون زورا وبهتانا وكذبا •

فلم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ، يدخل بكل امرأة
تعرض عليه مهما يكن جمالها وحسنها ، بل كان اختياره
لزوجاته يتفق مع قيامه بالمهمة العظمى الملقاة على عاتقه •

وقصة بنت أم قرفة دليل على ذلك • ففي صحيح مسلم
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر الى فزارة ،
وفيههم سلمة بن الأكوع الذى يروى الحديث فيقول :

(١) الضحى : ٦ - ٨ • (٢) النجم : ٢ - ١١ •

« وخرجت مع أبى بكر حتى اذا صلينا الصبح أمرنا فشنينا الغارة فوردنا الماء فقتل أبو بكر من قتل ، ورأيت طائفة فخشيت أن يسبقونى الى الجبل فأدركتهم ورميت بسهم بينهم وبين الجبل ، فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة هى أم قرفة عليها قمشع من آدم ومعها ابنتها من أحسن العرب ، فجئت بهم أسوقهم الى أبى بكر ، فتلقي أبو بكر ابنتها فلم اكشف لها ثوبا » •

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما عاد سلمة ابن الأكوع طلب منه أن يهب له تلك الفتاة الجميلة جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر قائلًا : يا سلمة : هب لى المرأة الله أبوك • فقلت : هى لك يا رسول الله ، فلم يأخذها لنفسه لكنه بعث بها الى مكة ففدى بها أسرى المسلمين هناك •

وهذا التصرف من النبى الأعظم أكبر دليل على دحض مزاعم أعداء الله ، فلو كان أخذها بدافع الرغبة والميل الى اقتناء النساء لاحتفظ لنفسه بهذه الفتاة الفزارية التى هى باجماع المؤرخين من أجمل بنات العرب ، لكنه بعث بها الى مكة ليفتدى بها أسرى من الصحابة •

وكذلك قصة أم شريك التى أرادت أن تهب نفسها للنبى فامتنع لكن لما أوذيت فى سبيل الدعوة وتعرضت للعذاب الأليم ، قبل الرسول صلى الله عليه وسلم هبتها مكافأة لها على ما قدمت فى سبيل الدعوة •

لقد كان من الواجب على من يريد أن يلصق التهمة أن يتحرى لها وأن يدرس دوافعها ومؤثراتها وأن يتوخى الأناة والفهم ثم يحكم بما يميله عليه الضمير والعقل والمنطق ، لا أن يقيس ما يجري الآن ، وما عليه القوم بحياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

ولقد حاد عن الحق قلة من المستشرقين المغرضين وجماعة من الملحدين الذين اتخذوا القدح في الاسلام صناعة يعيشون منها ، فزعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم تزوج نساء كثيرات لأنه كان يحب النساء ، وتقولوا على الرسول بما لا يصح أن يقال ، ومن ذلك قولهم في زواجه من زينب بنت جحش رضى الله عنها : ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان مغرما بها ، وأنه كان مفتونا بجمالها لذلك عمل على تطليقها من زوجها ليتزوجها — وقد أجبنا على كثير من الشبهات في أثناء الكلام على الحكمة من التعدد .

ونقول : اذا شغل الانسان بمشكلة أو أوكل اليه أمر انسان فأخلص له وأقام بمصلحة لجماعة محدودة ، فانه يعيش فيما أخلص له ويستولى ذلك على تفكيره وملاذه وشهواته فيصرفه الى ما أهم به نفسه ، وقد لا يجد من القوت ما يبرفه به عن نفسه .. هذا بالنسبة للانسان العادى ، فما بالك بصاحب رسالة عظمى كالنبي محمد صلى الله عليه وسلم !

« وإذا كان هناك من يجيز لمثل هؤلاء حياة مملوءة بالترف والنعيم والنساء ، فانه يقوم على التوسع في المطعم والمشرب والملبس والمسكن وعلى كل ما يساعد على اثاره الشهوات ويتقنن في التمتع بما يطيب ويلذ .. ربما هذا ما سار عليه كثيرون من الأدعياء في القديم والحديث ، فالوائد مملوءة وحافلة باللحوم والفواكه والأشربة المتنوعة ليرتووا بما يشاء لهم الشيطان ، ثم ينقلبوا الى من يشاءون ليفرغوا ما اخترنوا مستسلمين لأهوائهم وأغراضهم ، أما صاحب الرسالة السماوية فقد كان بعيدا عن كل ما يوصل الى ذلك ، فالنصوص الصحيحة التي وردت تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشبع بالطعام ، ولم يعر الأكل طول حياته التفتاتا ، ولم يجمع على مائدته صنفين من الطعام ، وانما عاش لمهمة أكبر وأعظم من شهوات الدنيا وطعامها ونسائها فقد عاش للحياة الباقية في الآخرة » .

« ما لي وللدنيا ؟ .. انما أنا كرجل قال تحت ظل شجرة ثم راح وتركها » (١) .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال : فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره ، واذا الحصير قد

(١) سنن الترمذى ج ٣ ص ٢٧٨ .

أثر في جنبه واذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ، وقرظ في ناحية في الغرفة واذا اهاب معلق ، فابتدرت عيناي فقال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلت : يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصر قد أثر في جنبك ، وفي خزانك لا أرى فيها الا ما أرى ، وذلك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانك ، قال : يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا » ! •

وروت عائشة رضي الله عنها قالت : « دخلت امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية ، فبعتت الى بفراش حشوة يصوف ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قالت قلت : يا رسول الله فلانه من الأنصار دخلت فرأت فراشك فذهبت فبعتت الى بهذا فقال : رديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة » !

وكانت كل حياته زهدا في الدنيا وطلبا للآخرة • أليس محمد بن عبد الله — صلى الله عليه وسلم — الذي يقوم الليل راكعا ساجدا حتى تورمت قدماه ، فلما سئل كيف يفعل ذلك وقد غفر الله له ما تقدم وما تأخر ، قال صلى الله عليه وسلم : « أفلا أكون عبدا شكورا » •

والرسول صلى الله عليه وسلم هو القائل : « موضع سوط

في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولعدوة في سبيل الله أو روحه
خير من الدنيا وما فيها » •

ولقد عاش الرسول الأعظم في بيوته كلها عيشة غليظة ،
ورضيت زوجاته بذلك بعد أن خيرهن بين الله ورسوله والدنيا ،
فاخترن مجتمعات الله ورسوله ، ورفضن الدنيا وما فيها من متاع •
روى أنس قال : « ما أعلم النبي رأى رغيفا مرققا حتى
لحق بالله ، ولا رأى شاة سميطا بعينه قط » •

وقالت عائشة رضى الله عنها : « انا كنا ننظر الى الهلال :
ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقدت في أبيات رسول الله نار » •
فقال لها عروة بن الزبير : ما كان يعيشكم ؟
قالت : « الأسودان : التمر والماء » (١) •

وعن أنس بن مالك « أن فاطمة رضى الله عنها جاءت بكسرة
خبز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذه المكسرة
يا فاطمة ؟ قالت : قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه
المكسرة ، فقال : أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام •
أخرجه الامام أحمد والطبراني ورجالهما ثقات •

وعن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء ،

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه وفي البخارى أيضا
رواه أحمد في مسنده •

وكان أكثر خبزهم خبز الشعير » • أخرجه الترمذى بسند صحيح •

وروى أيضا عن ابن عباس قال : « قبض النبي صلى الله عليه وسلم وان درعه لرهونة عند رجل من يهود على ثلاثين صاعا أخذها رزقا لعياله » • أخرجه الترمذى والبخارى ومسلم •
أما الفراش الوثير الذى له أكبر الأثر فى إثارة الغرائز والميل الى التمتع بالحياة ، فلم يكن له فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر •

فقد كان فراشه صلى الله عليه وسلم من آدم^(١) حشوه ليف يثوى فيه قليلا ، فما أن يستدفىء حتى يسمع الصارخ^(٢) فينهض متأهبا لصلاة الفجر •

وما روته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن طعامها ومسكنها ليلة دخل بها الرسول صلى الله عليه وسلم فيه الكفاية — وقد سبق فى ترجمتها •

ولقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وقد أمره بألا ينظر الى ما يتمتع به أصحابه من متاع الدنيا التى أحلها الله لعامة المسلمين ، وأن يغض الطرف عن جمال الحياة فانما هى فتنة وبلاء واختبار ، وأن يتمسك بما عند الله فما عند الله خير وأبقى •

(٢) - الديك •

(١) - جلد •

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى » (١)

ويطلب الله من نبيه أن يوصى أهله بالصلاة والمحافظة عليها ، وأن يسأل الله مما عنده من الرزق ، فليس هناك دابة الا ويتولى أمرها والعناية بها ، وأن الجزاء الأوفى للمتقين .

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسالك رزقا ، نحن نرزقك ، والعاقبة للمتقوى » (٢) .

ولقد فهم ما كان عليه الرسول الكريم الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل فشهد لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم شهادة حق حين قال :

« وما كان محمد أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا ، وشد ما نجور ونخطيء اذا حسبناه رجلا شهويا لا هم له الا قضاء مآربه من الملاذ .

» كلا ، فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أين كانت . لقد كان زاهدا متقشفا فى مسكنه ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله ، وكان طعامه عادة الخبز والماء ، وربما تتابعت الشهور ولم يوقد بداره نار .

(٢) طه : ١٣٢ .

(١) طه : ١٣١ .

وأنهم يذكرون — ونعم ما يذكرون — أنه كان يصلح
ثوبه ويرفوه بيده ، فهل بعد ذلك فكرة ومعجزة » •

وروى أن دعاءه صلى الله عليه وسلم كان دائما :
« اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى »
أى الاستغناء •

ولقد كان محمد النبى — صلى الله عليه وسلم — مؤدبا
مع نسائه ، وقد أمر المسلمين بأن يكونوا مؤدبين مع نسائهم •
ولعن الرسول الأعظم المسلم الذى يفاخر بذكر ما يكون بينه
وبين زوجته فى خلوته ، وبذلك ضرب لنا مثلا أعلى يحتذى به
فى التخلق بالآداب السامية وما كان لزوجة من زوجاته أن
تتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما خفى واستتر ،
وما علينا الا أن نمسك بالقلم حبا واحتراما وتقديرا لمعلم
الانسانية وصاحب الخلق الكريم : « وانك لعلى خلق
عظيم » (١) •

ونستطيع بعد هذا كله أن نقول : ان التعدد بالنسبة
للسلوة صلى الله عليه وسلم كان لحكمة سامية ذكرنا
ما علمنا منها وما لم نعلمه أكثر وأكثر • فلا يصح أن نقيس
عليه حياتنا وزواجنا ، فندعى أن من حققنا تقليد النبى فى هذا

(١) القلم : ٤ •

الأمر .. كلا ، فلا وجه شبه بين ما أبيح للرسول صلى الله عليه وسلم وما أبيح لنا •

اللهم آتية الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ،
وابعثه المقام المحمود •

انك نعم المولى ونعم النصير

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	اهداء
٥	مقدمة الطبعة الثانية
٧	مقدمة الطبعة الأولى
١٧	زوجات - تمهيد
١٩	السيدة خديجة رضى الله عنها
٢٣	السيدة سودة رضى الله عنها
٢٧	السيدة عائشة رضى الله عنها
٥٩	السيدة حفصة بنت عمر رضى الله عنهما
٦٧	السيدة زينب بنت خزيمة رضى الله عنها
٧٠	السيدة أم سلمة رضى الله عنها
٨٣	السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها
٨٩	السيدة أم حبيبة رضى الله عنها
٩٧	السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها
١١١	أسماء بنت النعمان
١١١	عمرة بنت يزيد
١١٢	السيدة صفية بنت حيى رضى الله عنها
١١٩	السيدة جويرية بنت الحارث رضى الله عنها
١٢٣	مارية المصرية رضى الله عنها
١٢٢	أسرار الحكمة فى التعدد
١٢٩	التعدد دليل على صدق النبوة
١٤٥	حسن معاملته - صلى الله عليه وسلم - لزوجاته
١٥٦	أسباب اجتماعية وسياسية
١٦٠	مراكز الدعوة
١٧٣	مكانة الأمهات بعد الرسول صلى الله عليه وسلم
١٧٩	رد على شبه المغرضين
١٩١	محتويات الكتاب

رقم الايداع ٨٣/١٦٣٣
الترقيم الدولي ٩-٠٠٦-٣٠٧-٩٧٧

دار التوفيق النموذجية

للطباعة والجمع الآلات

الطبعة ٣: مميزات الموصف

بمراجعة جامع الدعاء